الكُوَاكِبُ لِذُرِّيَّةً فِي مَدِح خَيْرِ البَرِّينِ عَلَيْهُ

يَّةُ (بَرُ الْمِيْرِ (لِهَ) بُورِي



42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

شرح



المسماة

الكواكب الدُّرِّيَّة في مدح خير البرية ﷺ

للإمام البوصيري

[1.5-795 -/ 1171-79719]

ضبطها

أحمد على حسن

وعلَّق بهامشها مختصر شرح شيخ الأزهر

الشيخ إبراهيم الباجورى

[۱۹۸۱ - ۱۲۷۷ ه = ۱۸۷۰ - ۱۸۹۸ م]



42 Opera Square - Cairo (11111) Tel & fax: (202) 23900868 E-mail:adabook@hotmail.com المام المام

اسسها علم عسن عام ۱۹۹۳م ۲۶ میدان الأوبرا - القاهرة (۱۹۹۱) تلیفون وفاکس،۸۳۸ - ۲۳۹ (۲۰۲)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ **تقديم**

الحمدُ لله على ما آتانا من فضله ونعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله صلاةً تقربنا إلى الله وتجعله عنا راضيًا .

وبعد .. فهذه قصيدة « البردة » المباركة للإمام البوصري محمد بن سعيد بن حمّاد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري ، المغربي الأصل ، المصري المولد والموطن ، وُلد ببهشيم ٩٠٦هـ = ١٢١١م، أبوه من دلاص، ويُنسب إلى بوصير بلد أمه، وكلاهما قريتان من أعمال بنى سويف بمصر ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ=١٢٩٦هـ ، رُوي أنه أنشأ هذه القصيدة حين أصابه فالجُّ (شلل) ، فاستشفع بها إلى الله تعالى ، ولَّا نام رأى النبيَّ ﷺ في منامه ، فمسح بيده المباركة بدنه ، فعو في ، وخرج من بيته أوَّلَ النهار ، فلقيه بعض الفقراء (أي المتصوفين) ، فقال : يا سيدي أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسولَ الله على . قال : أيُّ قصيدة ؟ قال : التي أوَّ لها : « أمِن تذكُّر جيرانٍ ... » فأعطاها له .. وجرى ذكرُها بين الناس ، وأصبح الناس يتبركون بها ويستشفون بها ، على أن الاستشفاء بها ليس استشفاء بألفاظها ، وإنها هو استشفاء برسول الله على ؛ إذ هو بركة الدنيا والآخرة على .

ولقد تصدَّى لشرح هذه القصيدة الغرَّاء كبار علماء الإسلام ومنهم الشيخ إبراهيم بن محمد الجيزاوي الباجوري رحمه الله شيخ الأزهر الشريف المولود بمصر سنة ١١٩٨ه والمتوفى ١٢٧٧ه ، وشرْحهُ شرحٌ عجيب لطيف لا أستطيع له وصفًا ، طبعته مكتبة الآداب كاملاً أكثر من مرة ، بتحقيق المغفور له : الشيخ عبد الرحمن حسن محمود ، فرأيتُ تبسيطًا على المعاصرين من إخواني في الإسلام أن أختصر هذا الشرح ملتزمًا بألفاظ الشيخ رحمه الله

أسأل اللهَ أن ينفع بهذا الشرح . . والحمد لله رب العالمين . أحمد على حسن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ

بُرْدَةُ الْمديح

أَمِنْ تَذِكُّرِ جِيرانٍ بِلْذِي سَلَمٍ

مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِن تِلْقاءِ كاظِمَةٍ

وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَم

ف إلِعينيكَ إِنْ قلتَ اكْفُف اهَمَا

وَما لِقَلْبِكَ إِنْ قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيُحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ

ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمٍ (1)

لوْلا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلِ

ولا أرقت لِنِكْرِ البانِ والعَلَمِ

ولا أعارَ ثلك لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وضنَّى

ذِكْرَى الخِيَامِ وذِكْرَى ساكِنِي الخِيَمِ

فكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ ما شَهِدَتْ

به عَلَيْكَ عُدولُ الدَّمْعِ والسِّقَمِ وأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّىْ عَبْرَةٍ وضنَّى

مِشْلَ البَهارِ عَلَى خلَّيْكَ والعَنَمِ مَنْ أَهْوَى فأرَّقَنِي نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فأرَّقَنِي

والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بَالأَلْمِ * وَالْمُحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بَالأَلْمِ *) يَا لائِمِي في الْهَوْيَ الْعُذْرِيِّ مَعْذِرةً

مِنِّي إليك ولو أنصفْت لَمْ تَلُمِ (١٠) عَدَّدُ ولو أنصفْت لَمْ تَلُمِ

عَنِ الوُّشاةِ ولا دائِي بمُنْحَسِمِ (١١) مَحَّضتَنِي النُّصْحَ ، لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إنَّ المحِبَّ عَنِ العُلْاَ فِي صَمَمِ (١٢) إنِّ اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَلْلٍ

والشَّيْبُ أَبِعَدُ فِي نُصْحِ عَنِ التُّهُمِ (١٣)

فإنَّ أمَّارَتِي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ

مِنْ جَهْلِها بِنَدْيرِ الشَّيْبِ والْهَرَمِ

وَلا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعل الجَمِيلِ قِرَى ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِم (١٥) لَوْ كُنْتُ أَعلَهُ أَنِّي مِا أُوَقِّرُهُ كَتَمْتُ سِرًّا بَدا لِي مِنْهُ بِالكَتَم (١٦) مَنْ لِي بِرَدِّ جِماح مِنْ غُوايَتِهِا كما يُسرَدُّ جِماحُ الخيسل بسالْلُجُم (١٧) ف ال تَرُمُ بالمعاصِي كَسْرَ شَهُوَتِها إِنَّ الطَّعامَ يُقَوِّي شَهُوةَ النَّهِم (١٨) والنَّفْسُ كالطِّفْل إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ علَى حُبِّ الرَّضاع وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم اذِرْ أَنْ تُوَلِّيهُ إِنَّ الْهَـوَى مِا تَـوَلَّى يُصْهِ أَوْ يَصِهِ لأعْسالِ سائِمَةٌ وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِمْ لِذَّةً لِلْمَرْءِ قاتِلةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

واخْشَ الدسائسَ مِنْ جُوعِ ومِنْ شِبَعِ

فَـرُبَّ خُمَصَـةٍ شَرُّ مَـنَ الـتُخَمِ (٢٣) وَاستَفْرِغِ الدَّمْعَ مَنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلاْتْ

مِنَ المَحارِمِ والْزَمْ مِمْيَةَ النَّدَمِ (٢١) وحالِفِ النَفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهَا

وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ (٢٥) وَلا تُطِعْ مِنْهُما خَصْماً ولا حَكَماً

فأنتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْحَصْمِ والْحَكَمِ (٢٦) أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَـوْلٍ بـلاعَمَـل

لقدْ نَسَّبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ

أَمَرْ تُكَ الْخَيْرَ ، لَكِنْ ما ائْتَمَرْتُ بِهِ

وما اسْتَقمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ؟ المُمْ

ولا تَسزَوَّدْتُ قَبْسلَ المسوْتِ نافِلَـةً

ولم أُصَـلِّ سِـوَى فَـرْضٍ ولَمْ أَصُـمِ ''' ظَلَمْـتُ سُـنَّةَ مَـنْ أَحْيـا الظـلامَ إلى

أنِ اشْتكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمْ (٣٠)

وَشَـدَّ مِـنْ سَـغَب أحْشـاءَهُ وطَـوَى تَحْتَ الحِجارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَم وراودَتْهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَب عَـنْ نَفْسِـهِ فَأَراهِا أَيَّا شَـمَم وأكَّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرورَتُهُ إنَّ الضَرورَةَ لا تَعْدُو عَلَى العِصَمِ الدنيا ضَرورَةُ مَنْ لَـوْلاهُ لَمْ تُخْـرَج البِدُنيا مِـنَ العَـدَم مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْنِ والفريقَينِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَم نَبيُّنا الآمِرُ النَّاهِي فلا أحَدُّ أبَـرَّ فِي قَـوْلِ لا مِنْـهُ ولا نعَـم (٣٦) هُوَ الحبيبُ الذي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَـوْلٍ مَـنَ الأهْـوَالِ مُقْتَحَم دَعِا إلى الله فالمستَمْسِكُونَ بِدِ مُسْتَمسِكونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمُ

ف النَّبِيِّ ينَ فِي خَلْتٍ وفِي خُلُتٍ

وَلَمْ يُدانُوهُ فِي عِلْمِ ولا كَرَمِ (٢٩)

وكُلُّهُ مُ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسُ

غَرْفاً مِنَ البَحرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وواقِفُسونَ لَدَيْسِهِ عِنْسَدَ حَسِدِّهِم

مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

فَهْوَ الذي تَدمَّ مَعناهُ وصُورَتُهُ

ثُمَّ اصطفاهُ حَبيباً باريءُ النَّسَم

مُنَــزَّهُ عَــنْ شريــكِ في مَحاسِـنِه

فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فيه غَيْرُ مُنْقَسِمِ

دَعْ ما ادَّعَتْه النصارَى في نَبِيِّهِم

واحْكُمْ بَمَا شئتَ مَدحاً فيهِ واحْتَكِمِ

وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ

وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَمْ (63)

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ الله لَيْسَ لَهُ

حَـدٌ فَيُعْـرِبَ عَنْـهُ نـاطِقٌ بِفَـمْ

لَـوْ ناسَـبَتْ قَـدْرَهُ آياتُـهُ عِظَـرًا

أَحْيا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ (١٤٧)

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِم تَعْيا العُقُولُ بِهِ

حِرْصاً عَلَيْنا فلم نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ الْمُعَا

أَعْيا الورَى فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرَى

فِي القُرْبِ والبُعدِ فِيهِ غَيْرٌ مُنْفَحِمِ (٤٩)

كالشُّمْسِ تَظْهَرُ للْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ

صغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ (١٥)

وكَيْف يُدْرِكُ فِي السُّنيا حقيقتَـهُ

قَوْمٌ نِيامٌ تَسَلُّوا عَنْهُ بِاخُلُمٍ (١٥)

فَمَبْلَعُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ

وأنَّــهُ خَــيْرُ خَلْــقِ الله كُلِّهِــم (٢٥)

وَكُلُّ آي أَتَى الرُّسْلُ الكِرامُ بها

فإنها اتَّصلتْ مِنْ نورِهِ بِرِسمِ (٥٣)

فإنَّه شَـمْسُ فَضْلِ هُـمْ كُواكِبُها

يُظْهِرْنَ أَنُوارَها للناسِ في الظُّلَم (٥٠)

أَكْرِمْ بِخَلْق نَبِيٍّ زانَهُ خُلُقٌ بالحُسْن مُشْتَمِل البَـدْرِ في شَرَفٍ والبَحرِ في كَرَمِ ، والدَّهْرِ في هِمَم كأنَّــهُ وهْــوَ فَــرْدٌ مِــنْ جَلالتــهِ في عَسْكَرٍ حينَ تَلْقاهُ وفي حَشَم كأنَّما اللُّؤلؤ المُنونُ في صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِ لا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبِأً ضَمَّ أَعْظُمَهُ طُ وبَى لُنِتَشِ ق مِنْ لهُ ومُلْتَ ثِم أبانَ مَوْلِدُهُ عن طِيب عُنْصُرهِ يا طِيب مُفْتَتَح مِنْهُ وَنُحُتَامَ الفُـرْسُ أَنَّهُمُـوا قَد أُنْذِروا بحُلولِ البُؤْس والنَّقَم وباتَ إيوانُ كِسْرَى ، وَهْوَ مُنْصَدِعٌ كَشَمْلِ أَصْحابِ كِسْرَى غَيْرَ مَلْتَئِم

والنارُ خامِدَةُ الأنْفاسِ مِنْ أَسَفٍ

عليهِ ، والنَّهُرُ ساهِي العَيْنِ مِنْ سَدَم (١٣)

وساء ساوة أنْ غاضتْ بُحيرَتُها

ورُدَّ وارِدُها بالغيظِ حِينَ ظَمِي (١٤)

كأنَّ بالنارِ ما بِالماء مِنْ بَلَلٍ

حُزْناً ، وبالماءِ ما بِالنَّارِ مِنَ ضَرَم (١٥)

والجِنُّ مَنْتِفُ والأنْوارُ ساطِعَةٌ

والحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى ومِنْ كَلِم (١٦)

عَمُ وا وصَهُوا فَإعْلانُ البَشائِر لَمُ

تُسْمَعْ ، وبارِقَةُ الإندارِ لَمْ تُشَمِ

مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ الأَقوامَ كاهِنَّهُمْ

بِأَنَّ دينَهُمُ الْعُوجَ لَمْ يَقُصِم (١٨)

وبَعْدَ ما عاينوا في الأُفْقِ مِنْ شُهُب

مَنْقَضَّةٍ وِفْقَ ما فِي الأرْضِ مِنْ صَنَم (١٩)

حَتَّى غَدا عَنْ طريق الوَحْي مُنْهَزِمٌ

مِنَ الشِّياطينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِم (٧٠)

كانتهم هَرَبًا أبطالُ أَبْرَهَا

أَوْ عَسْكُرٌ بِالْحَصَى مِنْ راحَتَيْهِ رُمِي(٧١)

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْسِيحٍ بِبَطْنِهِما

نَبْذَ المُسَبِّحِ مِن أحشاءِ مُلْتَقِمِ (٧٢)

جاءتْ لِدَعْوَتِهِ الأشْجارُ ساجِدَةً

تمشِي إليْدِ على ساقٍ بــلا قَــدَمِ (٢٢) كــأنها سَــطَّرَتْ سَــطْراً لِمِـا كَتَبَــتْ

فُروعُها مِنْ بَديعِ الخَطِّ فِي اللَّقَمِ(٧٤)

مِثْلَ الغَمامةِ أَنَّسَى سارَ سائِرَةٌ

تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلهَجيرِ حَمِي (٥٧)

أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ النُّنْشَقِّ إِنَّ لَـهُ

مِنْ قَلْبِهِ نسْبَةً مَسْرُورَةَ القَسَمِ (٢٦)

وما حَوَى الغارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَرَم

وكُلُّ طَرْفٍ مِنْ الكُفَّادِ عَنْهُ عَمِي (٧٧)

فالصِّدْقُ فِي الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما

وهُمْ يَقولونَ ما بالغارِ مِن أَرِم (٨٧)

ظَنُّوا الحَمامَ وَظَنُّوا العَنْكَبوتَ عَلى

خَـيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُمْ وَلَمْ تَحُمِم (٧٩)

وِقايــةُ الله أغْنَــتْ عَــنْ مُضـاعَفَةٍ

مِنَ الدروعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ (١٠)

ما ضامَني الدهرُ يوماً واستَجَرْتُ بِهِ

إلا ونِلْتُ جِواراً مِنهُ لَمْ يُضَمِ

ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَم (٨٢)

لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤياهُ ؛ إِنَّ لَـهُ

قَلْباً إذا نامَتِ العَيْنانِ لَمْ يَسنَم (٨٣)

وَذَاكَ حِسِنَ بُلُسوغِ مِسنْ نُبُوَّتِسِهِ

فَلَـيْسَ يُنْكَـرُ فيـهِ حـالُ مُحْـتَلِم (٨٤)

تَبِارَكَ اللهُ مِا وَحْنِي بِمُكْتَسَبِ

ولانَبِيُّ عَلَى غَيْبٍ بِمُ تَّهَمٍ (٥٥)

كَمْ أبرأَتْ وَصِباً باللَّمْسِ راحَتُهُ

وأطْلقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ (٨٦)

وأحْيَتْ السَّنَّةَ الشَّهْباءَ دَعْوَتُهُ

حَتَى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصِرِ الدُّهُمِ (٨٧)

بِعارضٍ جادَ أَوْ خِلْتَ البِطاحَ بِها

سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ (٨٨)

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيِاتٍ لَـهُ ظَهَرَتْ

ظُهورَ نَادِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَم (٨٩)

فالْــــُدُّ يَــزدادُ حُسْــناً وهْـــوَ مُنــتَظِمٌ

وليسَ يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنتَظِم (٩٠)

فها تَطاوُلُ آمالِي السمَديح إلى

ما فيه مِنْ كَرَم الأخلاقِ والشِّيم(١١)

آياتُ حَقٌّ مِنَ الرَّحْنِ مُحْدَثَتُ

قديمةٌ صِفَةُ الموصوفِ بالقِدَم (٩٢)

لَمْ تَقْسَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْسِيَ تُخْبُرُنا

عَنِ المَعادِ وعن عادٍ وعن إِرَمِ (٩٣)

دامَتْ لَـدَيْنا ففاقَتْ كُـلَّ مُعْجِـزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جِاءتْ ولَمْ تَدُم (٩٤)

وَمُحْكَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبِهِ

لِذِي شِقاقٍ وما تَبْغِينَ مِنَ حَكَمِ (٩٥) ما حُورِبتْ قَطُّ إلا عادَ مِنْ حَرَب

أَعْدَى اللَّعادِي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ (٩٦) رَدَّتْ بلاغَتُها دَعْوَى مُعارِضِها

رَدَّ الغَيُّـورِ يَسدَ الجسانِي عَسنِ الحُسرَمِ (٩٧) لهسا مَعَسانِ كَمَسوْج البَحْسر في مَسدَدٍ

وفوْقَ جوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ والقِيمِ (٩٨) في الْحُسْنِ والقِيمِ (٩٨) في لا تُعَدِّدُ ولا تُحْصَى عَجائبُهِا

ولا تُسامُ على الإكْشارِ بالسَّامَ ولا تُسامُ على الإكْشارِ بالسَّامَ (٩٩) فَدَّتْ بِما عَيْنُ قارِيها فَقُلْتُ لَـهُ

لَقَـدْ ظَفِـرْتَ بِحَبْـلِ اللهِ فاعْتَصِــمِ (١٠٠) إن تَتْلُهـا خِيفَـةً مِـنْ حَـرِّ نـارِ لَظَـى

أطفأَتْ حَرَّ لَظًى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ (١٠١) كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجُوهُ بِهِ

مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحُمَمِ (١٠٢)

وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعْدِلَةً

فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِها فِي الناسِ لَمْ يَقُمِ (١٠٣)

لا تعَجَـبَنْ لـحَسُودِ رَاحَ يُنْكِرُهـا

تجاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ (١٠٤)

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

ويُنْكِرُ الفَّمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَم (١٠٥)

يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العافونَ ساحَتُهُ

سَعْياً وفَوْقَ مُتونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ (١٠٦)

ومَن هُوَ الآيةُ الكُبْرَى لِمُعْتبِ

ومَنْ هُوَ النِّعْمةُ العُظْمَى لِـمُغتَنِم (١٠٧)

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلى حَرَمٍ

كما سَرَى البدرُ في داجِ مِنَ الظَّلَمِ (١٠٨)

وَبِتَّ تَرْقَى إلى أَنْ نِلْتَ مَنْزِكَةً

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكُ وَلَمْ تُرَمِ (١٠٩)

وقَـــــ تَمَتُكَ جَميـــ عُ الأنبياء بهـا

والرُّسْلِ تَقْدِيمَ خَعْدومِ عَلَى خَدَمِ (١١٠)

وأنت تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ في مَوْكِب كُنْتَ فيهِ صَاحِبَ العَلَم (١١١) حَتَّى إذا لم تَدع شَاواً لِمُسْتَبِق مِنَ السُّنُوِّ ولا مَرْقًى لِسُنتَهِم (١١٢) خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامِ بِالإضافَةِ إِذْ نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ العَلَم (١١٣) كَـيْها تَفوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَترٍ عَنِ العُينِ ونِ وَسِرٍّ أيِّ مُكْتَتَم (١١٤) فَحُرْتَ كُلَّ فَخَارِ غَيْرٌ مُشْرَكٍ وجُـزْتَ كُـلَّ مَقـام غَـيْرَ مُـزْدَحَم(١١٥) وجَلَّ مِقْدارُ مِا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبِ وعَزَّ إِدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَم (١١٦) بُشْرَى لنا مَعْشَرَ الإسْلام إنَّ لَنا مِنَ العِنايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِم (١١٧) لَـــــــّا دَعــــا اللهُ داعينــــا لِطاعَتِـ بِأَكرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَّمِ (١١٨)

داعَتْ قُلُوبَ العِدا أنباءُ بَعْثَتِيهِ

كنَبْتَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ (119) ما ذالَ يَلْقاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ

حَتَّى حَكَوْا بِالقَنا لَحُمَّا علَى وَضَمِ (١٢٠) وَدُوا الفَـرَارَ فكادُوا يَغبطون به

أَشْلاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبِانِ والرَّخَمِ (١٢١)

مَّضِي الليالي ولا يَدرونَ عِدَّمَا

ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ (۱۲۲) كأَنَّها الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ

بكُلِّ قَرْمٍ إلى لسَحْمِ العِدا قَرِمِ (١٢٣)

يَجُرُّ بَحْرَ خَميسٍ فَوْقَ سابِحَةٍ

يَرْمِي بِمَوْجِ مِنَ الأبطالِ مُلْتطِمِ (١٢٤)

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُصحتسِبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلِ للكُفْرِ مُصْطَلِم (١٢٥)

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلام وَهْيَ بِهِم

مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها موصولَةَ الرَّحِم (١٢٦)

مَكْفُولَةً أبدًا مِنهُمْ بِخَيْرِ أبِ

وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمَ تَيْعِمْ وَلَمَ تَيْعَمْ وَلَمَ تَيْعِمْ (١٢٧) هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصادِمَهُمْ

ماذا رأى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ (١٢٨) وَسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً

فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ (١٢٩) المُصْدِري البيضَ مُمْراً بَعْدَ ما وَرَدَتْ

مِنَ العِداكُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ (١٣٠) والكاتبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ

أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيرَ مَنْعَجِمِ (١٣١)

شَاكِّي السِّلاحِ لَهُمْ سِيهَا ثُمِّيِّ زُهُمْ

والوَرْدُ يَمْتازُ بالسِّيا عَن السَّلَمِ (١٣٢) تُهْدِي إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُ مُ

فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكهامِ كُلَّ كَمِي (١٣٣) كَـأَنَّهُمْ فِي ظُهُــودِ الخَيــلِ نَبْــتُ رُبَّـا

مِنْ شِدَّةِ الحَرْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُرُم (١٣٤)

طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا فَ ا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهُم والبُهُم سولِ الله نُصْرَتُهُ إِنْ تَلْقَدُ الأُسْدُ فِي آجامِها تَجِمِ وَلَىنْ تَسرَى مِسنْ وَلِسيٍّ غَسْيْرَ مُسْتَصِر بِهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِم (١٣٧) أحَـل أمَّتَـه في حِـرْز مِلَّتِـهِ كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأشْبَالِ فِي أَجَم كَمْ جَدَّلَتْ كَلِهاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرهانُ مِنْ خَصِم (١٣٩) كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعجِزَةً

في الجاهِليَّةِ والتأديب في اليُّتُم (١٤٠) خَدَمْتُ أُ بِمَدِيحِ أَسْتَقَيلُ بِهِ

ذُنوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ والخِدَم (١٤١) إذْ قَلَّدان ما تُخشَى عَواقِبُهُ

كأنَّنِي بها هَدْيٌ مِنَ النَّعَم (١٤٢)

أطَعْتُ غَيَّ الصِّبا في الحالتينِ وَما حَصَلْتُ إلا على الآثام والنَّدَم (١٤٢) خَسارة نَفْس في تجارتها لَمْ تَشْتَرِ اللِّينَ بالله نيا ولم تَشُم للَّ مِنْهُ بعاجِلِهِ يَبِنْ لَـهُ الغَـبْنُ فِي بَيْعِ وفِي سَـلَم (١٤٥) إنْ آتِ ذَنْبًا في عَهْدِي بِمُنْتَقِض مِنَ النَّبِيِّ ولا حَبْلِي بِمُنْصَرِم (١٤٦) فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيتِي مُحَمَّداً وَهُ وَ أَوْفَى الخَلْتِي بِالنِّدَمَم (١٤٧) إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِلًا بيدى

فَضَلاً، وإلَّا فقُلْ يِا زَلَّةَ القَدَم (١٤٨) حاشاهُ أن يَحْسرمَ الرَّاجِي مَكارمَهُ

أو يُرْجِعَ الجارَ مِنْـهُ غيرَ مُحْـتَرَم (١٤٩ وَمُنْدُدُ أَلْزَمْتُ أَفكارِي مَدائِحَهُ

وَجَدْتُـهُ لـخَلاصي خَـيْرَ مُلْتَـزَم (١٥٠)

وَلَن يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يدًا تَرِبَتْ

إِنَّ الحَيا يُنبِتُ الأزهارَ في الأُكُمِ

ولَمْ أُرِدْ زَهْ رةَ الدنيا التي اقْتَطَفَتْ

يَدا زُهَيْرٍ بِهَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ (١٥٢) يا أَكْرَمَ الرُّسُل ما لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ

سِواكَ عِنْدَ خُلُولِ الحادثِ العَمَمِ

ولَـنْ يَضِـيقَ رَسـولَ اللهِ جاهُـكَ بي

إذا الكريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُسْتَقِمِ (108) فَإِنَّ مِنْ جُمودِكَ المدُّنْيا وَضَرَّتَها

ومِنْ عُلومكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ (100) يا نَفْسُ لا تَقْنَطي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ

إنَّ الكَبائِرَ في الغُفْرانِ كاللَّمَمِ (١٥٦) لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّ حِينَ يَقْسِمُها

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ فِي القِسَمِ (۱۵۷) يا رَبِّ واجْعَلْ رَجائي غَيْرَ مُنْعَكِسِ

لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسابي غَيْرَ مُنْخَرِمُ

والطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدارَيْنِ إِنَّ لَـهُ

صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأهوالُ يَنْهَزِم (١٥٩)

وائلذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ منْكَ دائِمَةٍ

علَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلِّ ومُنْسَجِمِ (١٦٠)

ما رَنَّحَتْ عَذَباتِ البانِ ربحُ صَبًا

وأطْرَبَ العِيسَ حادي العِيسِ بالنَّغَمِ (١٦١)

* * *

قال الشيخ الباجورى _ رحمه الله: ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين ، لكن لا بأس بها وهي: ثُم الرِّضا عن أبي بكر وعَنْ عُمَر

وعَـنْ عَـليِّ وعـن عـشانَ ذي الكَـرم

والآلِ والصَّحْبِ ثُمَّ التابعينَ فَهُمْ

أهْلُ التُّقَى والنَّقا والحِلْمِ والكَرَم

يا رَبِّ بِالمُصطَفَى بَلِّعْ مَقاصِدَنَا

واغْفِرْ لنا ما مَضى يا واسِعَ الكَرَم

واغْفِرْ إلهِي لكُلِّ المسلمين با

يتلونَ في المسجد الأقْصَى وفي الحَرَم

بِجاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طِيسَةٍ حَرَمٌ

وإسمه تسم مِن أعظم القسم

وهَدِهَ بُرْدَةُ المُخْتِدارِ قَدْ خُتِمَتْ

والحَمْدُ لله في بدرْءٍ وفي خَدتَم

أبيانُهَا قد أتتْ سِتين مَعْ مِائدةٍ

فَسرِّجْ بها كَرْبَسا يسا واسسعَ الكَسرَم

* * *

القصيدة المُضَريَّة

في الصلاة على خير البريَّة ﷺ للإمام البوصيري

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْسَادِ مِنْ مُضَرِ

وَالأَنْبِيا وَجَمِيع الرُّسْلِ مَا ذُكِرُوا (١)

وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الهادِي وَشِيعَتِهِ

وَصَحْبِهِ مَنْ لِطَى الدِّينِ قَدْ نَشَرُوا (٢)

وَهَا جَرُوا وَلَه أُووا وَقَد نَصَرُوا (٣)

وَبَيَّنُ وا الفَرْضَ وَالمُسنُونَ وَاعتَصبُوا

لله وَاعْتَصَـــمُوا بِــالله فَـــانْتَصَرُوا (٤)

أزْكَى صَلاةٍ وَأَنْهَاهَا وَأَشْرَفَهَا

يُعَطِّرُ الْكَونَ مِنْهَا نَشْرُهَا الْعَطِرُ (٥)

مَعْبُوقَةٍ بِعَبِيتِ الْمُسكِ زَاكيَةٍ

مِنْ طِيبِهَا أَرَجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ (٢)

عَدَّ الْحَصَى وَالثَّرَى وَالرَّمْل يَتْبَعُهَا

نَجْهُ السَّا وَنَبَاتُ الأرْضِ وَالمَدَرُ (٧)

وَعَدد وزُنِ مَثَاقِيل الجِبَالِ كَالِ يَلِيـــهِ قَطْــرُ جِيـــ الأشْجَارُ مِنْ وَرَقِ وَكُــلِّ حَــرْفِ غَــدَا يُـــتْلَى وَتُسْــتَطَرُّ وَالْوَحْش وَالْطَّيْرِ وَالْأَسْرَاكِ مَعْ نَعَم يَلِسِيهِمُ الجُسنُّ والأمْ وَالْذَّرُّ وَالْنَّمْلُ مَعْ جَمْعِ الْحُبُوبِ كَذَا وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالأَرْيَاشُ وَالـوَبَرُ وَمَا أَحَاطَ بِهِ العِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا جَـرَى بِـهِ الْقَلَـمُ الَـ السلاَّق مَنَنْستَ بها عَلَى الْحَلائِتِ مُلْدُ كَانُوا وَمُلْدُ حُثِمُ وا وَعَدَّ مِقْدَارِهِ السَّامِي الَّذِي شَرُفَتْ بِــهِ الْنَبِيُّــونَ وَالأَمْــلاَكُ وَافْتَخَــرُ وا الأكْوَانِ يَسَاسَنَدِي وَمَــا يَكُــونُ إلى أَنْ تُبْعَــثَ الصُّــوَ رُ في كُـلِّ طَرْفَةِ عَـيْنِ يَطْرِفُونَ بَهَا (١٦) أهْلُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِينَ أَوْ يَلَدُوا

مِلْءَ السمواتِ وَالأرْضِينَ مَعْ جَبَل وَالْفَرْش وَالْعَرْش والْكُرْسِي وَما حَصَرُوا (١٧) مَا أَعْدَمَ اللهُ مَوْجُودًا وَأَوْجَدَ مَعْدُومًا صَلاَّةً دَوَامًا يَسْتَغْرِقُ الْعَدَّ مَعْ جَمْع الدُّهورِ كَمَا تُحِيطُ بالْحَدِّ لا تُبْقِى وَلاَ تَلْدُرُ (١٩) لا غَايَةً وَانْتَهاءً يَا عَظيمُ لَها وَلا لَهِ إِلَّهُ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَدَّ أَضْعَافِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدِ مَعْ ضِعْفِ أَضْعَافِهِ يَسَا مَر كَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَا أَمَرْ تَنَا أَنْ نُصَالِّي أَنْتَ مُقْتَدِرُ (٢٢) مَعَ السَّلاَم كَسَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ رَبِّ وَضَاعِفْهُمَا وَالْفَضْ وكُلَّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بحقِّكَ في أَنْفَ اس خَلْقِ كَ إِنْ قَلُّ وا وَإِنْ كَثُرُوا (٢٤) يَا رَبِّ وَاغْفِرِ لِقَارِيهِ وَسَامِعِها وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا

دىنَا وَأَهْلِينَكِ إِلَى وَجِيرَ تِن وَكُلُّنَا سَيِّدِي لِلْعَفْ و مُفْتَقِّرُ (٢٦) وَقَدْ أَتَيْتُ ذُنُوبًا لا عِدادَ لَها لَكِنَّ عَفْ وَكَ لا يُبْقِ مِي وَلا يَسَذَرُ (٢٧) وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغِيهِ أَشْغَلَنِي وَقَدْ أَتَى خَاضِعًا وَالْقَلْتُ مُنْكَدُ أرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْحَمُنَا بِجَاهِ مَنْ فِي يَدَيْهِ سَبَّحَ الْحَجَرُ يَارَبِّ أَعْظِمْ لَنَا أَجْرًا وَمَعْفِرَةً فَإِنَّ جُودَكَ بَحْرٌ لَيْسَ وَاقْهُ ضَائِقَةٌ صَالِحَا الأَخْدِلاقُ ضَائِقَةٌ وَفَرِّجِ الكَرْبَ عَنَّا أَنْتَ مُقْتَدرُ (٢١) وكُنْ لَطِيفًا بنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ لُطْفًا جَمِيلاً بِهِ الأهْوالُ تَسْخَسِرُ (٣٢) بِالْمُصْطَفِي الْمُجْتَبِي خَيْرِ الأنَّام وَمَنْ جَلاَلَـةً نَزَلَـتْ فِي مَدْحِـهِ السُّـوَرُ^(٣٣) ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى الْمُخْتارِ مَا طَلَعَتْ شَهْسُ النَّهَارِ وَمَا قَدْ شَعْشَعَ الْقَمَرُ (٢٤)

أُمَّ الرِّضَاعَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ

مَنْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ لِلدِّينِ يَنْتَصِرُ (٥٥)

وَعَنْ أَبِي حَفْصِ الْفَارُوقِ صَاحِبِهِ

مَنْ قَوْلُهُ الْفَصْلُ فِي أَحْكَامِهِ عُمَرُ (٢٦)

وَجُدْ لِعُشْمَانَ ذِي النُّورَينِ مَنْ كَملَتْ

لَـهُ الْـمَحَاسِنُ فِي الـدَّارَيْن وَالظَّفَـرُ (٣٧)

كَذَا عَالِيٌ مع ابْنَيْهِ وَأُمِّهِا

أَهْلُ الْعَبَاءِ كَمَا قَدْ جَاءَنا الْخَبَرُ (٣٨)

سَعْدٌ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةٌ وَأُبُو

عُبَيْدَةً وَزُبَدِيْ سَادَةٌ غُدِرَرُ (٢٩)

وَكُمْ زَةٌ وَكَ ذَا الْعَبِّ اسُ سَيِّدُنَا

ونَجْلُهُ السحَبْرُ مَسَنْ زَالَتْ بِهِ الْعِيرُ (٤٠)

وَالآلُ والصَّحْبُ وَالأَتْبَاعُ قَاطِبَةً

مَا جَنَّ لَيْلُ الدَّيَاجِي أَوْ بَدَا السَّحَرُ (١١)

* * *

القصيدة المحمدية للإمام البوصيري

ئَحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَ

مُحَمَّدٌ مَاسطُ المعرُّوف جَامعُهُ

مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الإحْسَان وَالْكَرَم (٢)

مُحَمَّـــ لُا تَـــ الْجُ رُسْـــل الله قَاطِبَـــةً

مُحَمَّدٌ صَادِقُ الأقْوَالِ وَالكَلِم (٢)

مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَ اقِ حَافِظُهُ

مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الأخْدلاقِ وَالشِّيم (١)

مُحَمَّدٌ رُويَتْ بِالنُّورِ طِيْنَتُهُ

مُحَمَّدٌ لَمْ يَسزَلُ نُسورًا مِنْ الْقِدَم (٥)

مُحَمَّدٌ حَساكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ

مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الإنْعَامِ وَالْحِكَمِ (٦)

مُحَمَّـــدٌ خَـــيْرُ خَلْــقِ الله مِـــنْ مُضَرِ مُحَمَّــدٌ خَـــيْرُ رُسْــلِ اللهِ كُلِّهِــمِ (٧)

مُحَمَّـــدٌ دِينُـــهُ حَـــتُّ نَـــدِينُ بِــهِ مُحَمَّــدٌ مُجْمِــلاً حَقَّا عَــلَى عَلَــمِ (^)

عُمَّدُ ذِكْرُهُ رَوْحٌ لِأَنْفُسِنَا عُمَّدٌ شُكُرُهُ فَرْضٌ عَلَى الأَمَمِ (٩) عُحَمَّا ذُرِينَةُ السَّدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَ مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغُرَّاتِ وَالظَّلَمِ (١٠) مُحَمَّدٌ سَلِّهُ طَارَتُ مَنَاقِبُ مُ مُحَمَّــ لُهُ صَـاغَهُ الــرَّحْمَنُ بِالنِّعَم (١١) مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخِيرَتُكُ مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ مِّنْ سَائِرِ السُّهُم (١٢) مُحَمَّدٌ ضَاحِكُ لِلضَّيْفِ مُكْرِمُهُ مُحَمَّلُ لَا جَارُهُ والله لَمْ يُضَمِّلُ (١٣) مُحَمَّـــــ لِلْهُ طَارَـــت الْــــ تُنْبَا سَعْثَتِــ

حَمَدُ طَابِسَبُ السَّدِينَ لِيَعْدِسَةِ الْكَسَاتِ وَالْحِكَمِ (11) فَحَمَّدٌ جَاءَ بِالآيَساتِ وَالْحِكَمِ (11) مُحَمَّدٌ يَسَوْمَ بَعْثِ النَّسَاسِ شَسَافِعُنَا مُحَمَّدٌ يَسُورُهُ الْمُسَادِي مِسْ الظَّلَم (10) مُحَمَّدٌ نَسورُهُ الْمُسادِي مِسْ الظَّلَم (10)

مُحَمَّدٌ قَائِمٌ للهِ ذُو هِمَهِ مُحَمَّدٌ خَاتَمٌ لِلرُّسُلِ كُلِّهِ مِ (١٦)

* * *

شرح بُرْدَةُ المديح

أَمِىنْ تَسذَكُّرِ جِسيرانٍ بِسذِي سَسلَم

مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمْ

أَمْ هَبَّتِ السرِّيحُ مِن تِلْقاءِ كاظِمَةٍ

وَأُوْمَ ضَ السَرُقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمْ

(۱) قوله (أمن تذكر إلخ) الهمزة للاستفهام ، و (من) للتعليل ، والمراد بالجيران : المحبوبون ، والمراد بذي سلم موضع بين مكة والمدينة ، والمزج : الخلط ، وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء . والدمع : ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن ، ويكون باردًا للسرور ، وساخنًا للحزن . والجري : السيلان بشدة ، والمقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والدم : السيلان بشدة ، والمقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والدم : أحد الأمشاج الأربعة التي تحلق منها الإنسان : الماء والمواء والتراب والنار . وفي هذا البيت براعة استهلال ؛ لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة في مدح النبي على المدينة الشريفة .

(Y) قوله (أم هبت الربح إلخ)، أم: حرف عطف يُطلب بها وبالهمزة التعيين، وواو العطف إما على حقيقتها، أو بمعنى «أو»، وأما هبوب الربح من جهة كاظمة فلأن المحب دائمًا يفكر في محاسن محبوبه، فإذا هبت الربح من جهة موضعه، تخيل أنها حملت روائحه إليه، وأما إيحاض البرق من إضم؛ فلأن من عادة الحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة. وهبوب الربح: هيجانها، و «تلقاء» بمعنى حذاء، وكاظمة (قال في القاموس: هي ربح تقابل الصّبا)، وقيل اسم موضع، والإيحاض: اللمعان الخفيف، والظلماء: صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة الظماء، وإضم: اسمٌ لجبل، وقيل اسمٌ لوادٍ بقرب المدينة الشريفة.

ف إلِعَيْنَيْكَ إِنْ قلتَ اكْفُف اهْمَت

وَما لِقَلْبِكَ إِنْ قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ (٣) وَما لِقَلْبِكَ إِنْ قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ (٣) أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ

ما بَيْنَ مُنْسَجِم مِنْهُ ومُضْطَرِم (١)

لَـوْلا الْهَـوَى لَمْ تُـرِقْ دَمْعاً عـلى طَلَـلِ

ولا أَرِقْتَ لِلذَكْرِ البانِ والعَلَمِ (٥)

٣٣) أي إذا صدقتَ في إنكارك الحب فأي شيء ثبت لعينيك أوجبَ لهما أنكُّ إِن قلت لهما أكففا همتا ؟ وأي شيء تُبتَ لقلبك أوجب لـ أنك إن قلَّت له استفق يهم ؟! و ﴿ مَا ﴾ في الموضعين اسم استفهام ، ومعنى أكففا: أمسكا عن البكاء ، و « همتاً » بمعنى سالتا ، أي همتاً دمعًا ، والقلب: لحم علَى شكل الصنوبر ، وقال بعضهم: القلُّب سرٌّ وضعه الله في هذه اللحمة فتسميتها قلبًا لحلوله فيها . أستفق : أفق . ﴿ يَهِمُ ﴾ مضارع هام يهيم إذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق ً. (٤) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، و يجسب : بكسير السين وفتحها أي يظن ، والصُّب: العاشقُ من قولهُم صبُّ المَاءَ لأنه لما كان كثير البكِآء فكأنَّه يصب الدمع ، وقال بعضهم من « الصبابة » وهي رقة العشق وحرارته . و ﴿ ما ﴾ اسم موصول بمعنى الـذي ، و المنسجم: السـائل ، والمضطرم: المشتعل. والمعنى: لا يظنّ العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذَّلي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نـــار الحــب ، وكــلَّ منهماً من آثار الحب مع كونهما ظاهرين ، وحينئذ فإنكار الحب غلط. (٥) الهوى: مصدر هُـوي بكسر الواو: إذا أحب، فهو بمعنى الحب، و (لولا) حرف يدلُ على امتناع الجواب لوجود الشرط . وقولُه لم تنرق دمعًا أي لم تصبّه ، والطلل: ما بقي من آثار الدار مرتفعًا ، و « على " الداخلة عليه للتعليل أي لأجل طلل ، و إرقت بكسر السراء: بمعنى سهرت ، و البان: شجرٌ طيبُ الرّيح ، و العَلم: يُطلق على معان منها الجبل والرمح ، =

ولا أعارتُكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وضَلْى

ذِكْرَ الخِيَامِ وذِكْرَى ساكِنِي الخِيَامِ فكَيْسفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ ما شَهدَتْ

بهِ عَلَيْسكَ عُسدولُ السدِّمْعِ والسِّعَمِ^(٧) وأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّىْ عَـبْرَةٍ وضنىً

مِثْلَ البَهارِ عَلَى خدَّيْكَ والعَنَمِ (٨)

أي ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بمحل الحبوب، ويحتمل أنه شبه
 المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة .

(٦) أعارتك : أعطّتك على سبيل العارية ، لوئي عبرة وضنى : والمراد باللونين هنا النوعان ، والعبرة بفتح العين : الدموع ، والضنى : المرض ، وقوله ذكر : أي تذكر ، وكل من الخيام والحيم جمع خيمة وهي بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر .

(٧) و « كيف) حال مقدَّمة مضمَّنة معنى الاستفهام على وجه الإنكار ، ومعنى تنكر : تجحد ، والجحد هو النفي بعد العلم بخلافه قبله ، والعدول جمع عدل : من لا تُردُ شهادته ، والدمع هو الماء الجاري من العين . والسَّقم بفتحتين : المرض ، وإنما ذكر كونهم عدولاً للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم .

(٨) الوجد: هو الحزن بسبب الحب ، وقيل: نيران أشواق تنشرها رياح الحبة عند سماع ذكر المحبوب. وقوله خطئ عبرة بفتح العين: أي خطين من الدموع، وقوله (وضنى) : عطف على خطّى عبرة لكن على تقدير مضاف ، وقوله « مثل البهار النح » صفة لكل مِن خطى العبرة والضنى ؛ لأن البهار بفتح الباء الموحّدة ورد أصفر ، وأثر الضنى صفرة الوجه ، فأثر الضنى مثل البهار في الصفرة . و « العنم » بفتح العين والنون : شجر له أغصان حمر ، وقيل ورد أحمر ، والخطان من العبرة مثل العنم = الخطان من العبرة مثل العنم =

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي

والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بَالأَلَمِ (١)

يا لائِمِى في الْهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرةً

مِنِّي إليكَ ولو أَنصَفْتَ لَمُ تَلُمِ (١٠)

عَـــدَتْكَ حــاليَ لا سِرِّي بمُسْــتَتِرِ

عَنِ الوُشاةِ ولا دائِي بمُنْحَسِمِ (١١)

 في الحمرة . والمعنى : وكيف تنكر حبًا بعد ما أثبت الوجدُ على خديك علامتين ظاهرتين على الحب ، فكل من رآك يعرف الحب في وجهك ؟

(٩) لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل إلى الإنكار اقر واعترف بذلك ، و « نعم » حرف إيجاب لما سبق ، « سرى الى أي الى الله لأن السرى هو السير ليلاً . وقوله طيف من أهوى : أي خيال من أحب ، و « أهوى » مضارع هوي بكسر الواو معنى أحب بخلاف هوى بفتح الواو فإنه بمعنى سقط ، وقوله « والحب يعترض اللذات بالألم » أي يدفعها بالألم ، يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به ، والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلي عن المجوبين ، وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد .

(۱۰) (الهوى العذري أي الهوى المنسوب إلى بني عذرة بضم العين ، وهم قبيلة مشهورة باليمن ، يؤدّي بهم العشق إلى الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم ، وقوله معذرة : أي أعتذر معذرة أو أقدَّم معذرة ، وقوله لا لو أنصفت لم تلم الي لأن الحب ليس اختياريًا حتى يلام عليه ، بل هو قهريّ ولا يلام إلا على الأمر الاختياري ، كما قال القائل :

هو فهري ولا يلام إلا على الامر الاختياري ، كما قال الفائل: دع عنك تعنيفي ، وذُقُ طعمَ الهوى فإذا عشقتَ ، فبعدَ ذلك عَنّفِ

را ١) عدتك حالى إلخ : أي جاوزتك حالي ، كما يقول الشخص لغيره : لا أراك الله الله على ما يقول الشخص الما الله الله على ما يقتمل أيضًا أنها خبرية ، وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله .=

عَقَضتَنِي النُّصْحَ ، لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُه

إِنَّ الْحِبُّ عَنِ الْعُلَّالِ فِي صَمَمِ (١٣) إِنَّ الْحِبُّ عَنِ الْعُلَّالِ فِي صَمَمِ (١٣) إِنَّي الْمَّنْ فِي عَلَلْ الْمَّانُ وَيَعَلَلْ اللَّهُ عُلَّالًا عَلَيْ (١٣) اللَّهُ عُلَّا مَا وَيُعَلِيلُ اللَّهُ عُلِّلًا اللَّهُ عُلِيلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عُلِيلًا اللَّهُ عُلِيلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلِيلُ اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلِيلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلِيلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلِيلًا الللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلُولِ الللّهُ عَلَيْلًا الللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلِيلًا الللّهُ عَلَيْلًا اللّهُ عَلَيْلِيلًا عَلَيْلِمُ عَلَيْلًا عُلِيلًا عَلَيْلًا عُلِيلًا عَلَيْلًا عَلَيْلِمُ عَلَيْلًا عَلَيْلُولِ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلًا عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلًا عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلًا عَلَيْلِمُ عَلَيْلًا عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلِيلًا عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلُولِكِمِي عَلَيْلِمُ عَلَيْلِيلِمِ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَل

والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصْحٍ عَنِ النُّهَمِ (١٣)

= وقوله: (لا سرّى بمستتر عن الوشاة): السر: ما يكتمه الشخص عن غيره ، والوشاة: جمع واش ، وهو الذي يشي الحديث بين الحب والمحبوب ، أي يزينه ويزخرفه لأجل الإفساد بينهما . قوله : ولا دائي بمنحسم: أي ولا دائي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته .

طرش ، فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج » . " (١٣) فكأن السائل قال له : كيف تتهمني في العذل ؟! فقال له : إني اتهمت إلخ ، أي فإذا اتهمت نصيح الشيب في عذله علي في الهوى ، والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح ، فكيف بالعاذل الذي ليس أبعد عن التهم في النصح ، بل من شأنه أن يتهم فيه ؟ " نصبح الشيب " أي شيبًا ناصحاً ، وإنما كان الشيب ناصحاً ؛ لأنه يدل على قرب الأجل وحصول الموت الموجب لترك دواعي الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفي . وقوله : " في عذل " متعلق باتهمت أي اتهمته في لومه على في الهوى ودواعي الشباب ، وقوله : " والشيب أبعد في نصح عن التهم " : أي والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح .

فإنَّ أمَّارَتِي بِالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ

مِنْ جَهْلِهَا بِنَدْيرِ الشَّيْبِ والْهَرَمِ (١٤)

وَلا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعَلِ الْجَمِيلِ قِرَى

ضَيْفٍ أُمَّ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِمِ

لَوْ كُنْتُ أَعلَهُ أَنِّي مِا أَوَقِّرُهُ

كَتَمْتُ سِرّاً بَدالِي مِنْهُ بِالكَتَمِ

(١٤) هذا البيت تعليل للبيت قبله . والأمّارة من أنواع النفس ، وهي التي تأمر بالمخالفة ، فلا يلوح لها طمع إلا فعلته ، ولا برزت لها شهوة إلا قضتها ، ومنها اللّوّامة : وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيراً عند الوقوع في المعصية لسابقة القضاء ، ومنها المطمئنة : وهي التي اطمأنت للإيمان وللتصديق بوعد الله ، فهي دائماً موقّقة للطاعة ، مصدّقة بلقاء الله تعالى . السوء : القبيح . وقوله : (ما اتعظت) خبر إن ، أي ما قبلت الوعظ ، وقوله : (من جهلها) أي من أجل جهلها ، ونذير : إما بمعنى الإنذار فيكون مصدراً ، أو بمعنى المنفر ، فيكون اسم فاعل .

(١٥) قوله (ولا أعدت) إلخ أي نفسه الأمّارة ، والإعداد : التهيئة ، وقوله : (من الفعل الجميل) أي من الأعمال الصالحة . وقرى الضيف بكسر القاف : إكرامه ؛ لأنه شبه الشيب بالضيف ، في طُروه على الشخص بعد أن لم يكن . وقوله ألم بتشديد الميم : بمعنى نزل ، وقوله برأسي : أي في رأسي ، فالباء بمعنى في ، وقوله غير محتشم : أي غير مستجي ، فالشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت .

وقوله من العلم والمعرفة بمعنى واحد ، وقوله : (أنى ما أوقره " : أي أنى ما أعلم : العلم والمعرفة بمعنى واحد ، وقوله : (كتمتُ سراً " أي أخفيته ، أعظمه بفعل الجميل وترك القبيح ، وقوله : (بدا لي " أي ظهر لي ، وقوله والمراد بالسر الشيب الذي يظهر أولاً ، وقوله : (بدا لي " أي ظهر لي ، وقوله منه : أي من الشيب ، والكتم : بفتح التاء نبت يُخلط بالحنّاء ويخصّب به

مَنْ لِي بِرَدِّ جِماح مِنْ غُوايَتِهِا كما يُسرَدُّ جِماحُ الخيلِ بسالْلَّجُم (١٧) فسلا تَرُمْ بالمعاصِي كَسْرَ شَهْوَتِها إِنَّ الطَّعامَ يُقَوِّي شَهُوةَ النَّهِم (١٨) والنَّفْسُ كالطَّفْل إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على

حُبِّ الرَّضاع وإنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِم (١٩)

 الشعر فيبقى لونه . وفي هذا البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سمّاه الله تعالى وقاراً ، فقد روي أن أُوَّل مَن رأى الشيبَ إبراهيم ، على نبينا وعليـه الصـلاة والسلام ، فقال ِّ: ما هذا يا رب ؟ فقال الله تعالى : وقار يا إبراهيم ، فقال : يا ربِّ زدنى وقارا ، فأصبح وقد عمَّه الشيب » ، وفي الحديث القدسي : « الشيب نوري » (في كشف الخفا ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني: « عـن أنـس ، رفعـه : يقـول الله عـز وجـل : « الشيب نوري والنار خَلْقي ، وأنا أستحي أن أعذب نوري بناري » .

(١٧) * مَن لِي ۗ ۚ إَلَحْ أَي : مِن يَتَكُفُل لِي إِلَّحْ ؟ . وقولُهُ : * بردُ جماح مِن غوايتها » أي بصرف قوّةٍ وغلبةٍ ناشئه من ضلالتها ، فالجماح بمعنى القوّة والغلبة ، والمراد بوده صرفه ، وغُوايتها بفتح الغين المعجمة : بمعنى ضلالتها ، أي جماح ناشيئ من غوايتها ، وقوله : «كما يُرد جماح الخيل باللجم » جمع

لِحَمَّام ، آي ردِّ مثل ردَّ جَمَاح الخَيلُ باللجم في اَلْقَوَّة وَٱلْعَنْفُ . (١٨) **« فلا تُؤم بالمعاصي ... »** : أي لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمنــاه من المعاصي دفع شهوتها . شهوة النهم : بتشديد النون وكسر الهاء ، الذي هو شديد الشهوة إلى الطعام ، فتمكينه منه يزيد في شهوته إليه ، وكذُّلُكُ النفس تمكينها من المعاصي يزيد في شهوتها إليهاً .

(١٩) كَالْطَفْلِ: شبه النفْس بالطفل، فكمَّا أنَّ الطَّفْلِ إن تَرِكته على ما ألفه من الرضاّع دام على حبّه ، وإن منعته عنه امتنع ، كمّا ذكّره بقولُّه : ﴿ إِنْ تهمله " ، إلخ ، كذَّلك النفس إن تركتها على ما ألِفته مَّن الْعاصي=

ف اصْرِفْ هَواها وحاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـهُ

إنَّ الهَـوَى ما تَـوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ (٢٠) وَراعِها وَهْـيَ فِي الأعْمالِ سائِمَةٌ وراعِها وَهْـيَ فِي الأعْمالِ سائِمَةٌ وراعِها وَهْـيَ الْمتَحْلَتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِم (٢١)

= دامت على حبه ، وإن منعتها عنه امتنعت . وقوله : « شب على » أي كبر ، وقوله : « وإن تفطمه » فطمت المرأة الرضيع فطماً من باب ضرب : فصلته عن الرضاع ، فهي فاطمة ، والرضيع فطيم .

(٢٠) قُولُه « فاصرِفْ هواهَا » فاصرفُ النفس عن هُواهَا ، وقُولُه : « وحاذر أن توليه » أي واحذر أن تعطي هواها الولاية والإمارة عليك ، وقوله : « ما تُولى » أي ما صار والياً ، ﴿ ما » شرطية ، وقوله : « أو يَصِّهم » بفتح الياء وكسر الصاد مِن وصمه إذا عابه ٍ، فالمعنى أن الهوى إن ولاَّه الشخصُ يقتله أو يَعيبه . ولما كان الهوى سبباً للهلاك أجمع على ذمه العارفون ، ووردت بذمه الآيات والأحاديث ، وقال اِبن عباسَ « الهوى إلهٌ يُعبد مِن دون الله » وتلا قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱكَّخَذَ إِلَنْهَهُۥ هَوَنْهُ ﴾ [الجاثية:٢٣] . (٢١) « وراعها وهي » إلخ أي لاحظها . سائمة : أي كالبهيمة السائمة في الكلأ ، الأعمال : الأعمال الصالحة ، سائمة : بمعنى آخذة ومشتغلة . « وإن هي استحلت المرعى فلا تسم » بضم التاء وكسر السين ، أي وإن هي وجدت المرعى حلوًا فلا تبقها فيه ؛ لأنها لا تميل إلى الطاعة لِذاتها ٍ ، بل لغرض فيها ، فتنقلب الطاعة معصية ، بل قد تكون أعظم مفسدةً من المعصيةُ ، كما يشير لذلك قـول صـاحب الحِكـم (هـو أحمـد بـن عبــد الكريم ابن عطاء الله السكندري - رضي الله عنه - من أعلام متصوِّ في القرن السابِع الهجري توفي عـام ٧٠٩هـ - ١٣٠٩م) : " رُبُّ معصـيَّةٍ أورثت ذلاً وانكسارًا خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزًّا واستُكبارًا » .

كَــمْ حَسَّـنَتْ لَــذَّةً لِلْمَــرْءِ قاتِلــةً مِنْ حَيْثُ لَا يَدْدِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ (٢٢) واخشَ الدسائسَ مِنْ جُـوع ومِنْ شِبَع

واخْشَ الدسائسَ مِنْ جُوعِ ومِنْ شِبَعِ فَسرُبَّ نَخْمَصَةٍ شَرٌّ مَسنَ الستُّخَمِ (۲۲) وَاستَفْرِغ الدَّمعَ مَنْ عَيْنٍ قَدِامْتَلاَتْ

مِنَ المَحارِمِ والْزَمْ حِيْسَةَ النَّدَمِ (٢٤)

(٢٢) (كم) خبرية بمعنى كثيرًا ، والتقدير كم مرة ، أي كثيرًا من المرات ، وقوله : (حسنت لذة للمرء قاتلة) أي عَدَّت لذة قاتلة حسنة ، للمرء : للشخص رجلاً كان أو امرأة ، وقد بيَّن وجه كون اللذة قاتلة بقوله (من حيث لم يدر أن السم في الدسم) ، الدسم : هو الدهن ، وخص السم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته ، والمراد بالسم هنا حظ النفس ، والمراد بالدسم هنا الطاعة .

(٢٣) أي خف المكائد التي تخفيها النفس في الجوع والشبع ؛ فالدسائس من الجوع : كالحدَّة وسوء الخلق ، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة .

(فرب محمصة شرَّ من التخم) إذ رُب مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل ؛ فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط ، وتحصل مع كثرة الأكل ، وإن كان فيها كسل ، و (رُب) هنا للتقليل ، والمخمصة : المجاعة ، والتخم : بضم الناء وفتح الخاء جمع تخمة : وهي فساد المعدة بالطعام .

(٢٤) قوله « واستفرغ الدمع إلخ » أي أفرغ الدمع بالبكاء . وامتلاء العين من المحارم : كناية – عند الفقهاء – عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعًا ، وعند الصوفية وأهل الحب : رؤية الأغيار بها . وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء . وقوله : « والزم حمية الندم » أي والزم حماية الندم لك عن المحارم ، والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية ، وإنما عبر بالندم لأنه =

وخالفِ النفْسَ والشَّيطْانَ واعْصِها

واعب على النُّم عَصَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِم (٢٥) وَلا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا ولا حَكَمًا

فأنتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْحَصْمِ والْحَكَمِ (٢٦)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلِ

لقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نسْلاً لِذِي عُقُم (٢٧)

= العمدة في التوبة ، ولذلك ورد: « الندمُ توبةً » قال رسول الله ﷺ: « الندم توبة » ، والتائب من الذنب كمن لأ ذنب له » .

(٢٥) أي إذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء ، أو نهتك نفسُك والشيطان عن شيَّء ، فخالفهما لأنهما عدوّاك ، وإنمّا قدَّم النفسَ على الشيطان لأنها أضَرُّ منه ، وفتنتها أعظم من فتنته . وقوله : ﴿ وَإِنْ هِمَا مُحْصَاكُ النَّصِحِ فَـاتُّهُم ﴾ أي وإن هما أخلصًا لك النصح فيما أبدياه لك ، كأن يقولا لك : تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب ، أو يقولا لك : ارفق على نفسك في العبادة لتدوم عليها ، أو أكثِر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى ، أو نحو ذلك ، فاتهمهما بأن تنسبهما إلى الخيانة وعدم الإخلاص .

(٢٦) معنى البيت أنه إذا تخاصم العقل مع النفس، وجعلا الشيطان حكمًا، أو تخاصمَ العقلُ مع الشيطان ، وجعلا النَّفسَ حكَّمًا ، فلا تطع واحدًا من الـنفس والشيطان ، لا الخصم ولا الحكم . والخصم هنا قـد يكـون الـنفس ، والحكـم الشيطان ، وبالعكس ! وقوله : ﴿ فَأَنْتَ تَعْرُفُ كَيْدُ الْخَصْمُ وَالْحَكُمُ ﴾ أي لأنـكُ تِعرف كيد الخِصم والحِكم من النِاس ، وكيد النفس وإلشيطان أشد .

(٢٧) قُوله : ﴿ اُسْتَغَفُّرَ اللهِ اللَّحِ ﴾ لَمَا كان المصنف معترفًا بأنه غير عامل بقوله ، وقد قال تعالى : ﴿ كُبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لِلَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٣] استغفر من ذلك . وقوله : ﴿ لقد نسبت به نسلاً لذي عقم ﴾ ،=

أَمَرْتُكَ الخيرَ ، لَكِنْ ما ائْتَمَرْتُ بِهِ

وما اسْتَقمتُ فَما قَوْلِي لَكَ اسْتقِمِ

ولا تَـزَوَّدْتُ قبْـلَ المـوْتِ نافِلَـةً

ولم أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَمْ أَصُّمِ

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيا الظلامَ إلى

أنِ اشتكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

أي لقد نسبت بهذا القول نسلا ، وهو الذرية ، لشخص صاحب عقم ،
 بضم القاف ، وهو الذي لا يولد لمثله .

(٢٨) قوله: «أمرتك الخير إلخ» ومراده بالأمر ما يشمل النهي . والخير: ما له عاقبة محمودة . وقوله «لكن ما ائتمرت به» أي لكن ما عملت به . وقوله: « وما استقمت » أي بفعل المأمورات وترك المنهيات . وقوله: « فما قولي لك استقم » أي فما ثمرة قولي لك استقم حيث لم أستقم ؟ والاستفهام إنكاري بمعنى النفي ، أي لا ثمرة له ولا فائدة له .

والاستفهام إنكاري بمعنى آلنفي ، أي لا ثمرة له ولا فائدة له . (٢٩) المراد بالتزوّد هنا العمل ، وإنما عبر بالتزوّد نظرًا لكون الموت سفرًا طويلاً محتويًا على الأهوال والمشاق ، والسفر المذكور يناسبه التزوّد ، قال تعالى : ﴿ وَتَزَوِّدُواْ فَإِنَّ حَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة:١٩٧] ، وقوله : ﴿ نافلة ﴾ أي مستقلة عن الغرض ، وقد اشتهر أن النافلة يُجبر بها ما نقص من الفرائض . وقوله : ﴿ ولم أصل سوى فرض ولم أصم ﴾ إنما خص الصلاة والصوم بالذكر ؛ لأنهما محض عبادة بدنية ، وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا يُتَنفِّلُ به ولأن الذي يصلي الفرض ويصوم الفرض إنما هو المؤمن ، لا الكافر ، فلذلك لم يذكر الإيمان لأنه ثابت في قلبه والحمد لله .

(٣٠) قوله : « ظلمتُ سنةٌ من إلخ » هذا تخلّص للشروع في المقصود ، وهـو مدحه عليه ، و السنة : لغة الطريقة ، وشرعًا الطريقة المسلوكة في الدين من =

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وطَوَى تَحْت الجِجارِةَ كَشُحاً مُنْرَفَ الأَدَمِ^(٣١) وراودَثْـهُ الجِبـالُ الشُّـمُّ مِـنْ ذَهَـب

عَنْ نَفْسِهِ فَأْراهِا أَيْسَا شَدَم (٣٢)

غير افتراض ولا وجوب ، و « من » واقعة على النبي ، وهو نبينا ﷺ . وقوله : « إلى أن وقوله : « إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم » ، واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام ، على وجه المبالغة . والورم : ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعي ، وقد روي المغيرة أنه قام ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟! » .

(٣١) الشد: العصب والربط ، والسغب : الجوع ، و « من » الداخلة عليه للتعليل ، والأحشاء جمع حشى ، وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع ، وقيل : القلب ، وقيل : الأمعاء ، وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة ، فتخمد الحرارة بعض خمود ، وقد روى الشد مسلم عن أنس قال : « جئتُ رسولَ الله على يومًا فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدّ ثهم ، وقد عصب بطنه بعصابة ، قالوا : من الجوع » . وقوله : « وطوى تحت الحجارة كشحًا مترف الأدم » ، الطي : اللف ، والكشع : الخاصرة ، والمترف : الناعم من الترف ، والأدم : الجلد .

(٣٢) قوله : « وراودته الجبال إلخ » ، المراودة : المطالبة ، يقال راوده : أي طلب منه أن يكون على مراده ، وإسناد المراودة للجبال مجاز ، والمقصود جبال مكة ، كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة ؛ إذ رُوي أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له : إن الله يقرئك السلام ، ويقول لك : أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهبًا وفضة ، تكون معك حيثما

وأكَّدَتْ زُهْدَدَهُ فيها ضَر ورَتُهُ

إنَّ الضَرورَةَ لا تَعْدُو عَلَى العِصَم (٣٣)

وكيفَ تَـدْعُو إلى الـدنيا ضَرورَةُ مَـنْ

لَـوُلاهُ لَمْ تُخْرَج الـدُّنيا مِـنَ العَـدَم (٣١)

كنت ؟ فأطرق ﷺ ساعةً ، ثم قال : يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ، ومالُ من لا مال له ، يجمعها من لا عقل له » (رواه الإمام أحمد ، والبيهقي عن السيدة عائشةٍ والبيهقي عن عبد الله بن مسعود موقوفًا) ، فقال له جبريل: « ثبتك الله بالقول الثابت ». وقوله الشم: أي المرتفعة وهي جمع أشَمّ . وقوله : (عن نفسه) أي من أجل نفسه ، وقوله : « فأراها أيما شمم »: أي فأراها شممًا أيماً شمم ، أي شممًا عظيمًا .

(٣٣) قوله : ﴿ وَأَكِدُتُ زَهَدُهُ فِيهَا إِلَخُ ﴾ التأكيد : الْتقويَّة ، والزهـد : تـرك الشيء وقلة الرغبة فيه ، والضمير المجرور بفي راجعٌ للجبال التي تكون من زُّهب، والضرورة: شدة الحاجة. وقوله: إن الضرورة إلخ مستأنف أو تعليل. وقوله: لا تعدو على العصم: أي لا تتعدى عليها ، يقال عدا عليه أي تعدَّى عليه ، وفي كلامه حٰذفُ مضاف ؛ أي على ذوي

العصم أي المعصومين ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٣٤) قوله : (وكيف تدعو إلخ) استفهام إنكاري بمعنى النفي ، أي لا تدعو إلخ ، والدعاء : الطلب والميل . وقوله : « إلى الدنيا » متعلق بتدَّعو ، والـ دنيا صفة في الأصل ثم نقلت إلى الاسمية ، فجُعلت اسمًا لهذه الدار التي نحن فيها . وقوله : ﴿ لُولًاه لم تَخْرِجِ الدُنيا من العـدم ﴾ ، أي لـولا وجـوده ﷺ لاسـتمرت الدنيا على عدمها ، والأصل في ذلك ما رواه الحاكم ، والبيهقي ، مـن قـول الله تعالى لآدم لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة ، وكـان رأى على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسـول الله: « سـألتني بحقـه أن أغفر لك ، وقد غفرتُ لك ، ولولاه ما خُلقتك » فوجود آدم عليه السُّـلام=

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْنِ

والفريقَينِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمٍ

نَبِيُّنا الآمِرُ النَّاهِي فلا أحَدُّ

أبرّ في قَوْلِ لا مِنْهُ ولا نَعَمِ (٢٦)

هُـوَ الحبيبُ الذي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

لِكُلِّ هَوْلٍ مَنَ الأهْوَالِ مُقْتَحَم (٣٧)

متوقف على وجوده ، وآدم أبو البشر ، وأبو البشر إنما خُلقت الدنيا
 لأجله ، فيكون في هو السبب في وجود كل شيء .

(٣٥) قوله: « سيد الكونين » أي أشرف أهل الكونين ، والمراد بالكونين الدنيا والآخرة ، وقوله: « والثقلين » أي : الإنس والجن ، وإنما سُميا ثقلين لإثقالهما الأرض ، أو لثقلهما باللذنوب . والعُرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب بفتحها . والمراد بالعجم : جميع غير العرب .

(٣٦) قوله : « نبينا إلن » ، الإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه ، وقوله :
 الأمر الناهي » أي عن الله تعالى ، وقوله : « فلا أحد أبر في قـول لا منه ولا نعم » أي إذا أمر ونهى ، فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهى .

(٣٧) قوله : (هو الحبيب) الضمير راجع لمحمد ، أو لنبيناً . وهو الحبيب : أي لله أو لامته لأنه أعظم محب لله ، وأفضل محبوب له ، وهو أيضًا محب لأمته ، ومحبوب له . وقوله : (الذي ترجي شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم) : أي الذي تُتوقع شفاعته ، وهي طلب الخير للغير عند كل هول ، والهول : هو الأمر المخوف . وله على شفاعات ، منها شفاعته في فصل النصاء حين يتمنى الناس الانصراف من الحمر ولو للنار ، لشدة الهول ، وهد ، هي الشفاعة العظمى ، وتسمى المقام المحمود ؛ لأنه يحمده عليها الأولون والاحرون ، وهي مختصة به عليه ، ومنها شفاعته على و دخول جماعة الجنة بغير حساب ،=

دَعا إلى اللهِ فالمستَمْسِكونَ به

مُسْتَمسِكونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ (٣٨)

فاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْتِ وفِي خُلْتٍ

وَلَمْ يُسدانُوهُ فِي عِلْمِ ولا كَسرَمِ (٢٩)

وكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ الله مُلْتَمِسٌ

غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ (٤٠)

ومنها شفاعته على في جماعة استحقوا النار ، لا يدخلونها ، بل يدخلون الجنة ، ومنها شفاعته على في جماعة دخلوا النار أن يُخرَجوا منها ، وهذه غير مختصة به على ، بل تكون لغيره أيضًا ، ومنها شفاعته على في رفع درجات أناسٍ في الجنة ، ومنها شفاعته على في تخفيف العذاب عن بعض الكفار .

(٣٨) قول « دعا إلى الله إلخ » أي دعا إلى دين الله ، وقول « (٣٨) قول به مستمسكون بحبل غير منفصم »: المراد من الحبل السبب ، كما هو أحد إطلاقيه ، والفصم بالفاء : القطع من غير إبانة .

(٣٩) قوله: (فاق النبيين إلخ) أي زاد على النبيين. (في خلق) بفتح الخاء وسكون اللام: وهو الصورة والشكل ، وفي خلق بضمهما: وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة ؛ كالعلم ، والحياء ، والجود ، والشفقة ، والحلم ، والعدل ، والعفة ، وأمثال ذلك .

(، ٤) رَسُول الله: هو سيدنا محمد على ، والمراد من قوله ملتمس : آخذ . وقوله : الخرفاً من البحر أو رشفاً من الديم » : أي حال كون بعض الملتمسين مغترفاً من البحر ، وبعضهم مرتشفاً من الديم ، والغرف: مصدر غرف بمعنى أخذ ، والرشف : المص . والديم : جمع ديمة وهي المطر الدائم يومًا وليلةً من غير رعد (جمع ديمة ، قال في القاموس : والديمة - بالكسر - مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق) ، والمراد من البحر والديم هنا عِلمُه وحِلمه على الله . وواقِفُ ونَ لَدَيْ بِ عِنْ لَدَهِم

مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ (١١)

فَهْوَ الذي تَدمَّ مَعناهُ وصُورَتُهُ

ثُمَّ اصطفاهُ حبيباً بارِئُ النَّسمِ (٢١)

مُنَــزَّهُ عَــن شريــكٍ في محاسِـنه

فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيه غَيْرُ مُنْقَسِم (٢٢)

(١٤) معنى كونهم واقفين لديه عند حدهم: أنهم ثابتون عنده في في العلم والحكم عند الحدّ الذي حدَّه لهم من ذلك فلا يتجاوزونه. وقوله: «من نقطة العلم أو من شكله الحكم » بيان لحدهم، والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قال بعض الشارحين، وقيل: «المراد بهما علم الله وحكمه »، وإنما خص النقطة بالعِلم والشكلة بالحِكم لأن النقطة تميز الحروف المشتبهة الصور، والعلم خاصته التمييز، والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال، والحِكمة فائدتها وضع الشئ في المكان الذي يستحقه على أكمل وجه لئلا يختل النظام.

(٤٢) معناه : أي كمالاته الباطنية من الخلق ، والمراد بصورته : صفاته الظاهرية ، وقوله : « ثم اصطفاه حبيبًا بارئ النسم » ، أي ثم اختاره حبيبًا خالق الخلق ،

والنسم بفتح النون المشددة : جمع نسمة بفتحات ، وهي الإنسان .

(٤٣) قوله : « منزه إلخ » أي وهو منزه إلخ . وقوله عن شريك : أي عن كل شريك . وقوله : « فجوهر شريك . وقوله : « فجوهر الحسن » إلى الخين » إلى الخين » إلى الخين » إلى الخين » إلى الكائن فيه ، وقوله : « فيه » أي الكائن فيه ، وقوله : « غير منقسم » : أي بينه وبين غيره لاختصاصه به ، بخلاف يوسف عليه السلام فإنه أعطى شطر الحسن .

دَعْ مِا ادَّعَتْهِ النصارَى في نَبِيِّهِم

واحْكُمْ بما شِئتَ مَدحاً فيهِ واحْتكم (٤٤)

وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ

وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَم (٥١)

فَانَّ فَضْلَ رَسُولِ الله لَـيْسَ لَـهُ

حَدُّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نِاطِقٌ بِفَسِمِ (٤٦)

لَـوْ ناسَـبَتْ قَـدْرَهُ آياتُـهُ عِظَـمًا

أَحْيا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ (٤٧)

(٤٥) قوله: (ما شئت من شرف) أي الذي شئته من صفات الشرف ، وقوله: (وانسب إلى قدره ما شئت مِن عِظم) أي وانسب إلى كماله الذي شئته من صفات العظم .

(٤٦) هذا البيت تعليل للبيت قبله ، فكأنه قال : لأن فضل رسول الله إلخ ، وقوله : ﴿ لِيسِ لَهُ حَدْ ﴾ أي ليس له غاية ومنتهى . وقوله يُعرب : أي يفصح ، ومعنى ﴿ ناطق ﴾ متكلم.

يفصح ، ومعنى (ناطق) متكلم. (٤٧) قوله : (لو ناسبت إلخ) ، لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يُحيى اسمه دارس الرمم حين يدعَى به ؛ لأن الواقع أن=

⁽٤٤) في هذا البيت إشارة إلى قوله على: « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » (وفي لفظ رواه البخاري : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله ») ، والمراد بما ادعته النصارى في نبيهم قولهم بأنه إله ، والنصارى هم قوم عيسى ، وقوله : « واحكم بما شئت مدحًا فيه » : أي احكم بما شئت مم يما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه شئت في وقوله : « واحتكم » أي راع الحكمة في مدحك له على ذاتًا وصفات ، وقوله : « واحتكم » أي راع الحكمة في مدحك له على ذاتًا وصفات ، وقوله : « واحتكم » أي راع الحكمة في مدحك له على الله المناه المن

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِا تَعْيا العُقُولُ بِهِ

حِرْصاً عَلَيْنا فلم نَرْتَبْ وَلَم نَسِمِ (١٤٨)

أَعْيا الوَرَى فَهُمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرَى

فِي القُرْبِ والبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ (٤١)

كالشَّـمْسِ تَظْهَـرُ لِلْعَيْنَـيْنِ مِـنْ بُعُـدٍ

صَغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

= قدرَهُ المعنى القائم من آياته حتى من القرآن المتلوّ بخلاف القرآن غير المتلوّ ، وهو المعنى القائم بذاته تعلى ؛ فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من الحادث ، والمراد بآياته أعلام نبوّته أي دلائلها ، كالمعجزات . وقوله : « أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم » أي أحيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به ، و « دارس » بمعنى مدروس ، والرمم : جمع رمة ، وهي الشيء البالي ، والمدروسة : التي زيد في بلاتها . وهي الشيء البالي ، والمدروسة : التي زيد في بلاتها . (٤٨) قوله : " لم يمتحنا إلخ » أي لم يخبرنا بشيء تعجز عنه عقولنا ، بل أتى

٤٨) قوله: ألم يمتحنا إلخ الله أي لم يخبرنا بشيء تعجز عنه عقولنا ، بل أتى بالحنيفية الواضحة ، فالامتحان : الاختبار ، تعيا : العي بالأمر : العجز عنه ، وعدم الإهتداء لوجهه . حرصًا : الحرص على الشيء : شدة

الرغبة فيه ، والارتياب : الشك ، والهيام : التحير .

(٤٩) قوله: (أعيا الورى) إلخ ، الإعياء : الإعجاز ، والورى : الخلق . وقوله : (فهم معناه) أي إدراك حقيقته في . ويُرى بالبناء للمفعول ، وهي بصرية . و (في المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد منه في .

(٥٠) قُوله: «كالشمس إلخ الي هو كالشمس إلخ، والمقصود تشبيهه ﷺ بالشمس في أنه لا يخاطب كنهه وحقيقته في حالتي القرب والبعد، وقوله: «وتكل الطرف الي وتعيي البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها، وقوله: «من أمم الي في حالة القرب، والأمم بفتح الهمزة: القرب.

وكَيْف يُدْرِكُ فِي السُّنيا حقيقَتَــهُ

قَوْمٌ نِيامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ (١٥)

فَمَبْلَ عُ العِلْ مِ فِي فِي الْمَاتِّ وَأَنَّ لَهُ بَشَرٌ وَأَنَّ لَهُ مَبْلَ اللهِ كُلِّهِ مِ (٢٥)

وَكُلُّ آيِ أَتَسَى الرُّسْلُ الكِرامُ بها

فإنها اتَّصلتْ مِنْ نورِهِ بِهِم (٣٥)

فإنَّه شَهْ فَضْلِ هُمْ كواكِبُها

يُظْهِرُنَ أَنْوارَها للناسِ في الظُّلَم (٥٤)

(٥١) كيف: للاستفهام الإنكاري، وهو بمعنى النفي، أي لا يدرك إلخ، واحترز بقوله « في الدنيا » عنَّ الآخرة ، فإنهم يدركُون فِيها حقيقته ﷺ ، وَالْمَرَادُ بَحْقَيْقَتُه ﷺ قَدْرُهُ وَمَنزَلَتُه ، وقَوْلُه : ﴿ قَوْمٍ نَيَامٌ ﴾ أي قوم غافلون عن النظر في حقيقته ، والمراد بالقوم جميع ألورى ، وقولُهٍ ٰ: « تُسلوا ٰعنه بالحلم » بضم اللام : أي اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلاً بما يشبهِ الحلم .

(٥٢) ما يبلغه علم الناس في حقه ﷺ: أنه بشر ، لا إلهٌ ولا ملَك ، وأنــه خــير مُخلوقات الله كلهم إنسًا وجنًّا ومَلَّكًا وغيرهم . وألبشـر : إسـم لَّـبني آدمٌ ، سُمُوا بذلك لبدوُّ بشرتهم ، وهي ظاهر الجلـد . وخيرٌ : أصـله « أُخـيرُ » حُذَفَت منه الهمزة لكثرة الاستعمَّال . والخلق : بمعنى المخلوقات .

(٥٣) قوله: « وكلُّ آي أتى الرسل إلخ » ، جمع آية بمعنى المعجزة ، والرسل : جمع رسول ، والكرام : جمع كريم ، والمراد بنــوره معجزاتــه ، ويصح حمله على النور المحمدي الذي هو أصل المخلوقات كلها .

(٤٥) أي فإنه كالشمس في الفضل ، وقوله : « هم كواكبها » أي الرسيل كواكب الشمس ، أي مثل كواكبها ، وكما أن الشـمس إذا بـدت لمّ يبـق أثرُّ للكُواكُب، فكذَّلك شريعته ﷺ لما بدت نسخت غيرُها مِن سائر الشرائع.

أَكْسِرِمْ بِخَلْقِ نَبِعِيِّ زانَه خُلُقٌ بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ (٥٥) كالزَّهْرِ في تسرَفِ والبَدْرِ في شَرَفٍ

والبَحرِ في كَرَمٍ، والدَّهْرِ في هِمَمِ (٥٦) كَأْنَـهُ وهْمَ فَصْرُدٌ مِسنْ جَلالتهِ

في عَسْكرٍ حِينَ تَلقاهُ وفي حَشَمِ (٥٥)

(٥٥) قوله: «أكرم بخلق نبي إلخ» أي ما أكرم خلق نبي إلخ، وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام، وقوله: « زانه خلق » أي حسنه خلق بضم الخاء واللام، بمعنى زاده حسنًا. وقوله: « بالحسن مشتمل بالبشر متسم » أي متصف بالحسن، فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة ، متصف بالبشر، وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة: بشاشة الوجه وطلاقته. وحاصلُ المعنى: ما أحسن صورة نبي حسنه خلق، متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه. وورة نبي حسنه خلق، متصف بالبشاشة والراء: النعومة، والبدر: هو القمر ليلة كماله، وهي ليلة أربعة عشر. والشرف بفتح الشين والراء: العلو . وكرم البحر مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَهُو اللَّذِي سَحْرَ وَالراء: الغوم البحر مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَهُو اللَّذِي سَحْرَ وَالدَّم البين ، والمم: جمع همة وهي العزم على الشيء والإرادة له. والدهر: الزمن ، والهمم: جمع همة وهي العزم على الشيء والإرادة له. وحشمه ، وذلك من مهابته وجلالته: الجلالة: العظمة ، والعسكر: والحيش ، والحشم: (بفتح الحاء والشين المعجمة) : الخدم .

كَأْنَمَا اللُّؤلِـؤ المُخْسِونُ فِي صَـدفٍ

مِنْ مَعْدِنَىْ مَنْطِقٍ مِنهُ ومُبْتَسَمِ (٥٥) لا طيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ

طُـوبَى لِنتشِـتِ مِنْـهُ ومُلْتَـثِمِ (٥٩) أَبِـانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُـنْصُرِهِ

يا طِيبَ مُفْتَسَتَحٍ مِنْسَهُ ومُخْتَسَتَمِ (١٠)

(٥٨) شبه اللؤلؤ المكنون في صدفه بكلامه وثغر الله اللذين يبرزان من معدني منطقه ومبتسمه ، واللؤلؤ : هو الدر المسمى بالجوهر ، والمكنون : المصون ، والصدف : المحار الذي يتولد فيه ، وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه ، والمنطق : محل النطق ، والمبتسم بفتح السين : محل الابتسام .

والمنطق: محل النطق، والمبتسم بفتح السين: محل الابتسام. والمنطق: محل المدحه بحا المدحه بحا المدحه بحا المدحه بحا المدحه بحا المحصف به من المحاسن قبل مفارقته الدنيا، مدحه بحا اتصف به من المحاسن بعدها، والطبب: ما يتطبب به من مسك ونحوه، والربب بسكون الراء: لغة في التراب، والضم : الجمع، والأعظم: جمع عظم، وطوبي: إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها. وحاصل المعني: لا طيب يساوي التراب الذي جمع الجسد الشريف، وهو تراب قبره به ، ولما كان الطيب يستعمل على وجهين: تارة يستعمل بالشم، وتارة يستعمل بالتضمخ، الطيب يستعمل على وجهين: تارة يستعمل بالشم، وتارة يستعمل بالتضمخ، المناز للأول بقوله: « منتشق » وللثاني بقوله: « ملتثم » ، والمراد بالملتم هنا المعفر موضع اللثام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « القبر أول منزل من منازل الآخرة ؛ فإما روضة من رياض الجنة بل أفضلها، وقد قال أيضا بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ».

(٦٠) مولده : يصلح لأن يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها ، والطيب : الخلوص عما لا ينبغي في النسب ، و العنصر ، بضم العين المهملة وسكون النون=

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيهِ الفُرْسُ أَنَّهُمُ وا

قَد أُنْذِروا بِحُلولِ البُؤْسِ والنَّقَمِ (١١)

وباتَ إيوانُ كِسْرَى ، وَهْوَ مَنْصَدِعٌ

كَشَمْلِ أَصْحابِ كِسْرَى غَيْرَ مَلْتَئِمِ (١٢)

وضم الصاد هو الأصل ، والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم . والمراد بالمنتح بفتح التاءين : من فوق آدم عليه السلام ، وبالمختتم كذلك أبوه على عبد الله ، خلافاً لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالمفتتح هاشم ، وبالمختتم السبي على . ومن آيات مولده على ما ذكروه عن أمه أنها قالت : « لقد أخذني الطلق ، وإني لوحيدة في المنزل ، وعبد المطلب في طوافه يوم الإثنين ، فسمعت وجبة (أي سقطة) هالتني ، ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادي ، فذهب رعبي وكل وجع أجده ، وكنت عطشي فإذا بشربة بيضاء ، فشربتها ، فأصابني نور عال » إلى آخر الحديث ، وقد ذكره بطوله القسطلاني . يدرك بها الإنسان المعاني اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة . والفرس : بضم يدرك بها الإنسان المعاني اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة . والفرس : بضم الفاء وسكون الراء أهل مملكة فارس ، وكانوا مجوساً يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدلوه ، وإنما سموا فرساً لأنه ولد لأبيهم بضعة عشر رجلا ، كتابهم حين بدلوه ، وإنما شموا الفرس لذلك . وقوله : « أنهم » بالإشباع ، وقوله : « قد اندروا » أي بنزول البؤس والنقم ، والبؤس : هو الشدة المؤثرة في القلب الهم والخزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة . « المنه والخزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة . « الما المناس القلب الهم والخزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة . « المنه المناس القلب الهم والخزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة . « المناس القلب الهم والخزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة . « المناس القلب الهم والخزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة . « المناس القلب الهم والخزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة . « المناس القلب المناس المن

(٦٢) أي وبات في ليلة ولادته علم إيوان كسرى ألخ ، والإيوان : بناء يُبنى طولا غير مسدود الوجه ، يُعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه . وكسرى بكسر الكاف : لقب لكل من ملك الفرس ، وقوله « وهو منصدع » أي والحال أنه منشق شقًا بينا أشرف به على الهدم , ومع انصداعة سقط منه أربع عشرة شرافة من شرافاتة , وكانت اثنتين وعشرين . وقوله : كشمل أصحاب كسري بفتح الشين أي حالهم ، وقوله « غير ملتم » خبر بات .

والنارُ خامِدَةُ الأنْفاس مِنْ أَسَفٍ

عَلَيْهِ ، والنَّهْرُ ساهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ (٦٣) وساءَ ساوَة أَنْ غاضتْ بُحَيْرَتُها

ورُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حِينَ ظَمِي (١٤)

كأنَّ بالنارِ ما بِالماءِ مِسنْ بَلَلِ

حُزْناً ، وَبِالماءِ ما بِالنَّارِ مِنَ ضَرَمِ (١٥)

(٦٣) النار: هي نار الفرس التي كإنوا يعبدونها ، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام . والأنفاس : جمع نفس بفتح الفاء ، والمراد به هنا لهب النار ، وقوله : « من أسف » أي من أجل أسف أي شدة الحزن ، « عليه » : جوز بعض الشارحين أن يكون راجعًا إلى النبي على . وقوله : « والنهر ساهي العين » : المراد بالنهر نهر الفرات ، والمراد بكونه ساهي العين : أنه ساكن العين التي هي مادته عن الجري ، ويحتمل أن في الكلام استعارة بالكناية ، فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهي العين . وقوله : « من سدم » أي من فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهي العين . وقوله : « من سدم » أي من أجل سدم ، فمن للتعليل ، والسدم بفتح السين والدال : الحزن .

(٦٤) قوله : « وساء ساوة » إلخ أي وساء أهل ساوة إلخ ، وساوة اسمٌ للدينة من مدن الفرس . غاضت : غار ماؤها وذهب بالمرة ، والباء في قوله : « بالغيظ » للملابسة أو المصاحبة . وحاصل المعنى : وأحزن أهل المدينة المسماة بساوة أمران : أحدهما غيض مائها ، والثاني رد الذي

يردها ليستقى منها بالغيظ حين عطش.

(٦٥) قوله: « كَأَن بالنيار »: والأصل كيأن ما بالماء بالنيار ، وما اسم موصول بمعنى الذي ، من بلل: بيان لها . وقوله: « حزنا » أي للحزن ، والضرم: الالتهاب . وحاصل المعنى أن النار التي خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل ، فصارت مبتلة لحزنها ، وأن الماء الذي غاض تلك الليلة صاركان فيه ما بالنار من الضرم لحزنه أيضاً .

والجِنُّ تَهْتِفُ والأنْوارُ ساطِعَةٌ

والحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى ومِنْ كَلِمِ (١٦) عَمُوا وصَدَّوا فَاعْلانُ البَشائِرِ لَمْ عَمُوا وصَدَّوا فَاعْلانُ البَشائِرِ لَمْ تُسَمَّعُ ، وبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَم (٦٧)

(٦٦)أي وصارت الجن تهتف في الجبال والأودية ، والجن: هم أولاد البلس ، كما أن البشر أولاد آدم ، وقيل : الجن أولاد الجان ، فإبليس أبو الشياطين ، والجان أبو الجن ، والقول الأوّل أقوى (۱) ، والهتف : قيل الصوت مطلقاً ، وقيل الصوت الخفي . « والأنوار ساطعة » أي والأنوار التي خرجت معه على عند ولادته لامعة ظاهرة ، ففي الحديث عن آمنة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : « لما ودلته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام ، فولدته نظيفًا ما به قذر » . وقوله : « والحق يظهر من معنى ومن كلم » أي والحق الذي هو أمرُه على من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالأنوار ، ومن كلم كهتف الجن .

(٦٧) عموا وصموا إلخ: الضمير فيها راجع للكفار ، لكونهم لم يتنفعوا بما شاهدوه من المعنى ، ولا بما سمعوه من الكلم . وقوله : « فإعلان البشائر لم تسمع » أي فإظهار البشائر به على كهتف الجن لم تسمع هم سماع قبول ، وقوله : « وبارقة الإنذار لم تشم » ، أي ولامعة الإنذار به على ، أي تخويفهم به ، كالأنوار لم تُنظر هم نظر قبول ، يقال شام البرق : نظر إليه .

⁽١) الأصناف ثلاثة : بنو آدم ، والجن ، والملائكة : قال رسول الله ﷺ : « خُلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وُصف لكم » رواه الإمام أحمد والإمام مسلم ، وليس هناك صنف رابع اسمه الشياطين ، وإنما هم من ذرية إبليس لعنه الله ، ولعن كافرهم معه ، والجن أجناس وقبائل كما أن بني آدم أجناس وقبائل .

مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ الأَقوامَ كاهِنُهُمْ

بِأنَّ دينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُرِمُ وبَعْدَ ما عايَنوا في الأُفْتِي مِنْ شُهُبِ

مَنْقَضَّةٍ وِفْقَ ما فِي الأرْضِ مِنْ صَنَم (١٩)

حَتَّى غَداعَنْ طريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ مِنْ الشَياطينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ (٧٠)

(٦٨) قوله : (من بعد ما أخبر) أي من بعد الإخبار ، والكاهن : من كان لِه تابعٌ من الجُّن يخبره بخبر السماءُ ، وقُوله : ﴿ بِأَنْ دِينِهِم المُعوجِ لَمْ يُقُّمُ ﴾ ، أي بأن ما هم عليه من الدين المعوج ، لاشتماله على عبادة الأصنام ، لاً قيام له ، مع وجوده ﷺ .

(٦٩) قوله : (وبعد ما عاينوا) ، والتقدير عاينوه أي شاهدوه وأبصروه ، وقولُه : ﴿ فِي الْأَفْقِ ﴾ ، والمراد به هنا السّماء : لا حقّيقته ، التي هي أطّـراف السماء المماسة للأرض لعدم وجود الشهب في ذلك ، وقوله : ﴿ مَنْ شَهُّ ۗ ﴾ جمع شهاب ، وهو شعلة من نار ساطعة ، وقوله : " منقضةً " أي ساقطة من السماء على الشياطين اللّذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة ليلة ولادته على مثل ما في الأرض في الانقضاض والسَّقوط . وقوله : ﴿ مَنْ صَنَّم ﴾ بيانَّ لها ، والصُّنَّم : الـوثَّن ، وقيل: الصنم ما كان من حجر ، والوثن ما كان من غيره كنحاس

(٧٠) قُولُه : ١ حتى غدا ٧ ألخ أي ولم تزلُّ الشهب تنقض إلى أن غدا إلخ ، وغدا: بمعنى صار، وقوله (عن طريق الوحي اطريق الوحي : هو السماء . والـوجي : الكـلام الخفيّ ، والمنهـزم : ألهـارب ، وقولُـه أَرْ من الشياطين " بيانٌ لمنهزم ، وقوله : ﴿ يَقْفُو إِثْرَ مِنْهُزُم ﴾ أي يتبع أثر هارب آخر . وحاصل المعنى : ولم تزل الشهب تنقضُّ إلى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع أثرَ هاربٍ آخر ، وهلم جرًّا .

كانَّهُمْ هَرَبُ أبطالُ أَبْرَهَ _ ق

أَوْ عَسْكُرٌ بِالْحَصَى مِنْ راحَتَيْهِ رُمِي (٧١)

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْسِيحٍ بِبَطْنِهِما

نَبْذَ المُسَبِّحِ مِن أحشاءِ مُلْتَقِمِ (٧٢)

جاءت لِدَعْوَتِهِ الأشْجارُ ساجِدةً

تمشِي إليهِ على ساقٍ بلا قَدَم (٧٣)

(٧١) قوله : ﴿ كَأَنْهُمْ هُوبًا ﴾ إلخ الضمير للشياطين . والأبطال : جمع بطل ، وهو الشجاع القوي جداً . وأبرهة : بالصرف للضرورة الشعرية : ملك

اليمن . والعسكر : الجيش ، والحصى : حجارة صغيرة صلبة . والراحتان : بطنا الكف . ورمي الحصى كان في غزوة بدر . (٧٢) قوله : (ببذا به) إلخ أي نبذه الله بنذا إلخ ، وقوله : (به) أي بالحصى المرمي به سبح في كفيه في . وقوله : (نبذ المسبح من أحشاء الحصى المرمي به سبح في كفيه في . ملتقم " أي كُنبذ المسبح ، الذي هو يونس عليه السلام ، من أحشاء الملتقم له ، والأحشاءُ : ما انضمت عَليه الأُضلاع ، وقيل : الأمعاء . والملتقم لهُ هو الحوت ، قال الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَمَهُ ٱلحُوثَ وَهُوْ مُلِيمٌ ﴿ إِلْهِمَانَاتِ] .

(٧٣) قوله : ١ جاءت لدعوت الأشجار إلخ ١ أي أتت لطلبه الأشجار إلخ ، وقوله: (ساجلة) ، والمراد بالسجود هنا معناه اللغوي ، وهو الخضوع ، والساق : ما تُحت الفروع من الشجرة ، وقوله : ﴿ بلا قَدُم ۗ صَفَةُ لَلسَاقَ ، أَو متعلق بتمشي ، وأشار بذلك لما رُوي أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ آية ، فقال لـه : قل لتلك الشَّجرةُ : رسول الله يدعوكِ ، فمالَت عن يمينها وشمالها وبـين يـديها وخلفها ، حتى قطعت عروقها ، ثم جاءت تجبر عروقها في الأرض ، فوقفت بين يُدَّيه ، وقالت : السلام عليكٍ يا رسول الله ، قالَ الأعرابي : مُرهَا فلترجع إَلَى مُنبتها ، فأمرها فرجعتٰ ، ودلَّتْ عروقها في منبتها فاستوتُّ فيه (

⁽١) القصة بطولها في كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضى عياض رحمه الله تعالى في فصّل آلمعجزات .

كأنَّما سَطَّرَتْ سَطْراً لِما كتبَتْ

فُروعُها مِنْ بَديعِ الخَطِّ فِي اللَّقَمِ (٧٤) مِثْلَ الغَمامةِ أَنَّى سارَ سائِرةً "

تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلهَجِيرِ حَمِي (٥٧)

(٧٤) المعنى : « كأنما سطرت » تلك الأشجار في حال مشيها سطراً للذي كتبته فروعها ، وهو الخط البديع أي الذي لم يُعهد مثله ، المرسوم في اللقم ، اللقم : بفتح اللام والقاف : وسط الطريق لكونها مشت مشي استقامة . (٧٥) قوله: (مثل الغمامة) إلخ أي: هي مثل الغمامة: السحابة. وقوله : « ألَّي سار سائرة » أي في أي موضع سار هي سائرة ، وقوله : « حر وطيس » أي حر الشمس الشبيهة بالوطيس في الحرارة وقوله : « للهجير » أي عند الهجير ، والهجير والهاجرة بمعنى واحد : وهو وسط النهار إذا كان حارًا . وقوله : « حمى » يصح جعلَه فعلاً ماضيًا فتكون الجملة صفة لوطيس ، أو في موضع الحال من الهجير ، أي حال كونه قد حمى ، ويصح جعله اسمَ فاعل بمعنى حام . وهـذا البيت إشـارة إلى مـا رُوي من أنَّ أبا طالب خرج إلى الشام ومعه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، إلى أن أشرفوا على بحيرا الراهب ، وكـان في صـومعته ، فنزلـوا عنده وحطُوا رحالهم ، وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج إلىهم ، وفي هذه المرة خرج إليهم ، وجعل يتخللهم حتي جاء للنبي ﷺ فقال : هـذا سيد العالمين هذا رسول الله الذي يبعثه رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ قريش : وما أعلمك بهذا ؟ فقال : إنكم مِن حين أشرفتم مِن مكة والغمامة تظلله فوق رأسه .

أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ النُّشَقِّ إِنَّ لَهُ

مِـنْ قَلْبِـهِ نسْـبَةً مَـبْرورَةَ القَسَـمِ (٢٦) وما حَوَى الغارُ مِنْ خَيْرٍ ومِـنْ كَرَمٍ وما حَوَى الغارُ مِنْ خَيْرٍ ومِـنْ كَرَمٍ وكُلُّ طَرْفٍ مِنْ الكُفَّادِ عَنْهُ عَمِي (٧٧)

(٧٦) قوله: « أقسمت بالقمر » إلخ أي أقسمت برب القمر إلخ ، وقوله:
« المنشق » أي الذي انشق آية له على ؛ لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين ، فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه ، فقال رسول الله على :
« اشهدوا » ، فقال كفار قريش : قد سحَرَنا محمد ، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا ، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقًا ، فقال كفار قريش : هذا سحر مستمر ، فنزل قوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَ الْفَصَرُ فَي وَإِن يَرَوا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُستَمِرٌ ﴾ (١ [القمر: ١٠] ، والمراد بالنسبة : المناسبة والمشابهة في الانشقاق ، وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات ، وقد جمعها بعضهم في قوله :

وشُونَّ صدرُ المصطفى وهو في داربني سعد بلا مرية كشقه وهو ابن عشر ، شم في ليلة معراج ، وعند البعثة وقوله : « مبرورة القسم » أي أن القسم عليها مبرور فيه ، يقال برَّ في يمينه إذا صدق فيها .

(٧٧) الغار: ثقب في الجبل ، وكان في جبل ثور بأسفل مكة ، وقوله: « من خيرٍ ومن كرمٍ » بيان لما حوى الغار ، وكلِّ منهما لكل من النبي ﷺ=

 ⁽١) وانشقاق القمر له ﷺ لا يعارض فيه إلا مكابر ؛ لأن الحديث مروي في أغلب كتب الحديث ،
 وأولها البخاري ، كما ذكر ذلك صاحب « الشفا » ، والقرآن صريح في ذلك .

فالصِّدْقُ فِي الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما

وهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِن أَرِمِ (۱۸) ظُنُّوا الْحَامِ وَظَنُّوا الْعَنْ كَبُوتَ عَلَى خَدْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُمْ وَلَمْ تَحُمْمِ (۱۹) خَدِرُ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُمْ وَلَمْ تَحُمْمِ (۱۹)

ومن أبي بكر ، ويحتمل أن الأوّل للنبي ﷺ ، والثاني لأبي بكر ، وعلى هذا فإنما خصّه بالكرم لأنه آثر رسول الله ﷺ بنفسِهِ وماله ، ولذلك لما أتيا إلى الغار تقدَّم أبو بكر في الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذي ، فيتلقاه عن رسول الله ﷺ . وقوله : ﴿ وكل طرف اللخ أي والحال أن كل طرف إلخ ، فالواو للحال ، والطرْف بسكون الراء هو البصر . قوله عنه أي عن ما حوى الغار ، وقوله : ﴿ عمي ا يحتمل جعله فعلا ، وجعله اسمًا . وقد لبث النبي وأبو بكر في الغار ثلاث ليال ، وجاء الكفار حوالي الغار ينظرون ، فأعماهم الله تعالى عنهما .

(٧٨) قوله: (فالصدق) إلخ أي فذو الصدق ، أو يُؤول الصدق بالصادق ، وقوله (والصديق) : أي في الغار ، وقوله (لم يرما بكسر البراء » أي لم يبرحا ، وأصله يريما ، حُذفت منه الياء . وقوله (وهم يقولون) أي والحال أنهم يقولون إلخ ، والضمير راجع للكفار . (ما بالغار من أرم) ، وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى واحد ، أي ليس في الغار شيء .

(٧٩) قوله (ظنوا الحمام) إلخ هذا البيت كالتعليل لما قبله ، كما علمت ، وقوله (لم تنسج) وعلى خير البرية) ، البرية : الخلق ، وخيرهم : محمد أله ، وقوله (لم تنسج) بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت ، وقوله (لم تحم) بضم الحاء راجع للحمام ، وسبب ظنهم ذلك أن هذين متى أحسّا بالإنسان فرّا منه ، ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه .

وِقايةُ الله أغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ

مِنَ الدروعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ (٨٠) مِنَ الأُطُمِ ما ضامَنِي الدَّهْرُ يوماً واستَجَرْتُ بِهِ

إلاَّ ونِلْتُ جِواراً مِنهُ لَمْ يُضَمِ (٨١)

ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَم (٨٢)

(٨٠) قوله (وقاية الله) إلخ أي حِفظُ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخصُ درعًا فوق درع للحفظ من العدو ، أو أن تنسج الدرع حلقتين ، وقوله (وعن عال من الأطم) أي : وأغنت عن عال من الحصون .

(٨١) قوله « ما ضامني الدهر يومًا » إلخ أي ما ظلمني الـدهر في يـوم إلخ ، وقوله « إلا وقوله « واستجرت به » أي طلبت منه أن يجيرني من ذلك ، وقولـه « إلا ونلت جوارًا منه » أي إلا وأعطيت جوارًا بكسر الجيم وضمها أي حِمَّى وحفظًا ، وقوله « لم يُضم » بالبناء للمجهول أي لم يُحتقر ، بل يُحترم .

(٨٢) (ولا التمست): الالتماس: الطلب بخضوع وذلة. وقوله (غنى الدارين): أي داري الدنيا والآخرة، والغنى في الأولى بالكفاية، وفي الثانية بالسلامة من العذاب. وقوله (من يده) أي من نعمته ، وقوله (إلا استلمت) أي إلا أخذت، وقوله (الندى) بفتح النون مع القصر هو العطاء والكرم، وقوله (من خير مستلم) بفتح اللام، أي من خير مستلم منه لأنه لا يردّ سائله.

لا تُنْكِيرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤياهُ ؛ إِنَّ لَـهُ

قَلْبً إذا نامَتِ العَيْسَانِ لَمْ يَسَمِ (٩٣) وَذاكَ حِسِنَ بُلُوعِ مِسْ نُبُوَّتِهِ

فَلَـيْسَ يُنْكَـرُ فيـهِ حـالُ مُحْـتَلِمِ

تَبارَكَ اللهُ ما وَحْيُ بِمُكْتَسَبٍ

ولا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُ تَّهُمِ (٨٥)

(٨٣) أي لا تنكر الوحي حال كونه مبتداً مِن رؤياه في النوم ؛ فإن بدء الوحي كان بالرؤيا الصالحة في النوم ، وكان الله لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . وقوله " إن له قلبًا " إلخ تعليل لما قبله ، أي إن له قلبًا له اليقظة الدائمة ، وقد ورد في الصحيحين : " إن عينيً تنامان ولا ينام قلمي " .

(٨٤) قوله (وذاك) أناسم الإشارة راجع للوحي من رؤياه في النوم، وقوله (حين بلوغ من نبوّته) أي حين وصول إلى نبوّته ، والمراد بحال المحتلم : الوحي من رؤياه في النوم ؛ لأن المحتلم هو النائم ، وحاله : ما يراه في نومه ، والحاصل أن ذلك إنما كان في ابتداء النبوة ، وقد نُبّيء على رأس أربعين سنة ، وذلك حدُّ مبدأ النبوة .

(٨٥) تبارك الله : تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقولُه الكافرون علوًا كبيرًا ، وقوله « ما وحيّ بمكتسب لأحد بسعيه فيه ، ها وحيّ بمكتسب لأحد بسعيه فيه ، فالذي عليه أهل الحق أن الوحي ليس مكتسبًا ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ اللَّهُ عَلَّمُ عَيْثُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

حَجُعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ^(۱) [الأنعام:١٢٤]. وقوله : **(ولا نبي على غيب بمـتهم** » أي ولا نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار بغيب ، أي على الإخبار بأمر غائب ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ، كسائر المعاصي ، ولا يُرَدُّ بقوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخِّرَ ﴾ [الفستح: ٢] ، وقولم تعمالي : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢] ، ونحو ذلك ؛ لأن ما يقع منهم من باب " حسناتُ الأبرار سيئات المقـرَّبين » ، وفي ذلـك إشـارة إلى قولـه تعـالي : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينِ ﴾ (٢) [التكوير:٢٤] أي بمتهم ، وإلى قولمه تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَن ٱلْهَوَيْ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحَيٌّ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤] ، والحاصل : أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الخسة بإجماع ، فأما قصة آدم ، وهي أنه أكمل من الشجرة ، وقد نهاه الله عنها ، فمحمولة على أنه تأوَّل النهي ، مع أنه وإن كان منهيًّا ظاهرًا فهو مأمور باطنًا لحكمةٍ يعلمها الله تعالى ، وأمَّا قولَ إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام « هذا ربي » فقد ذكره مجاراة لهم ، أي هذا ربي بزعمكم ، وأما همُّ يوسف بزليخا فهو أمرٌ جبليّ لا اختياري حتى يكون مذمومًا ، والرغبة في النساء محمودة ، إذ عدمُها يدل على العُنَّـة ، وهي نقيصة ، ولما همَّ يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربـه : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءًا بُرْهَانَ رَبِّهِ ـ ﴾ ، وأما قصة داود - عليه الصلاة والسلام – وهي أنه خطرَ بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوَّج بزوجته ، لِما علم من حسنها ، فلا تَردُ أيضًا لأن ما وقع منه ليس معصية ، لكنـه غـير لائق بمقامه ، ولذلك عوتب عليه ، وبكى حتى نبت العشب من دموعه .

 ⁽١) وقوله جل وعلا ﴿ يَجْعُلُ ﴾ قاض بأنها غير مكتسبة ، وإنما هـي جَعْـلٌ مـن الله تعـالى
 وتخصيص لشخص معين لا يصلح غيره ،

⁽٢) ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ﴿ بظنين ﴾ بالظاء هو إحدى القراءات وأشهرها بالضاد .

كَمْ أبرأَتْ وَصِباً باللَّمْسِ داحَتُهُ

وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رَبْقَةِ اللَّمَمِ (٢٨)

وأحْيَتِ السَّنَّةَ الشَّهْباءَ دَعْوَتُهُ

حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ (٨٧)

(٨٦) قول م المرات الله أي كثيرًا من المرات أسرأت إلخ ، وقول « وصبًا » بكسر الصاد: أي مريضًا ، وقوله « باللمس » أي بسبب اللمس ، وأشار بذلك إلى ما روي من أن عين قتادة أصيبت يوم أحدٌ ، ووقعت علَّى وجنته ، فأتى رسولَ الله ﷺ وقال له : إن لي امرأة أحبها ، وأخشى أنها إن رأتني على هذه الحالة قذرتني ، وارتفع حبي من قلبها ، فأخذ السبي ﷺ عيسه بيدةً ، وردها إلى موضعها وقال : اللهم أكسبها جمالًا . فكانت أحسن عينيه ، وقوله (**واطلقت)** أي وحلّت راحته ، وقوله (**ارب)** بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحًا ، أي ذا أرب وحاجة . وقوله (من ريقة اللمم) أي من عقدة الجنونُ ، ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصي ، وأشار بذلك إلى مــا روي من أن امرأة أتت للنبي ﷺ بابن لها به جنون ، فمَسح بيـده المباركـة صــدره ، فثعَّ ثعة : أي قاء قيئة ، فخرج مَّن جوفه مثل الجرو الأسود ، وبرئ لوقته . (٨٧) قوله « وأحيت السنة الشبهاء » إلخ أي وأخصبت السنة الشهباء إلخ ، والشهباء قليلة المطر ، (دعوته) أي دعاؤه بالسقيا . حكت : أشبهت ، وغرة كل شيء : أحسنه ، والأعصر : جمع عصر ، وهو الزمن ، والدهم بضم الدال والهاء: جمع أدهمٍ ، وهو الأسود ، وأشار بذلك إلى مــا رواه الشيخان عن أنس « أنَّ رجلاً دخل المسجد يـوم جمعـة ورسـول الله ﷺ قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادعُ الله يُغثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وقال : اللهم أغثنا (ثلاثًـا) - وما نرى في السماء من سحاب ولا قزع - فطلعت سحابة ثم أمطرت، واللهِ ما رأينا الشمس سبتًا (أي أسبوعًا) » .

بِعارضٍ جادَ أَوْ خِلْتُ البِطاحَ بِها

سَيْتٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ (٨٨)

دَعْنِي ووَصْفِي آيساتٍ لَـهُ ظَهَـرتْ

ظُهودَ نَادِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ (٨٩)

فالْـدُّرُّ يـزدادُ حُسْناً وهْـوَ مُنـتَظِمٌ

وليسَ يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنتَظِمِ (٩٠)

(٨٨) قوله (بعارض) أي أحيت السنة الشهباء دعوته بعارض ، والمراد بالعارض السحاب. وقوله (جاد) أي جاد بالمطر الكثير ، وقوله (أو خلت) أي أو ظننت ، وأو بمعنى إلى . (البطاح) جمع أبطح : وهو الوادي المتسع الذي فيه دقاق الحصى ، و (السيب) الجري ، واليم : البحر ، والعرم : بفتح العين وكسر الراء في الأصل : اسم لما يُمسك الماء مِن بناء وغيره ، وهو أيضًا اسم لواد ، فالناظر يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الأرض ، هل هو سيب من البحر أو سيل من السد الذي تحطم .

(٨٩) دعني : أي اتركني وذكري آيات ، والمراد بالأيات المعجزات الدّالة على نبوته هم ، وقوله «له » أي آيات كائنة له هم ظهور نار القرى : أي ظهرت ظهورًا مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة . وقوله «على علم » أي على جبل ، وقد جرت عادة الكرام من العرب بإيقاد تلك النار على الجبل ، ليهتدي الضيفان إلى منازلهم .

(٩٠) « فالدر » وهو اللؤلؤ يزداد حسنًا والحال أنه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة ، وليس ينقص قدرًا حال كونه غير منتظم ؛ لأن حسنه ذاتي له .

فسما تَطاوُلُ آمالي المديح إلى

ما فيه مِنْ كَرَمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ (٩١) آياتُ حَـقً مِـنَ الـرَّحْمَن مُحُدَّئـةٌ

قديمةٌ صِفَةُ الموصوفِ بالقِدَمِ (٩٢) لَمْ تَقْستَرِنْ بِزَمسانٍ وهْسيَ تُخْبِرنُسا

عَنِ المَعادِ وعن عادٍ وعن إرّم (٩٣)

(91) قوله (فما تطاول) إلخ (ما) نافية ، والتطاول في الأصل مدّ العنق ، والأمال جمع أمل ، وهو الرجاء ، والمديح هـ و الثناء الحسن ، وقولـ (إلى ما فيه) أي إلى استقصاء ما فيه ﷺ ، والأخلاق جمع خلق بضمتين ، وهو الطبيعة ، والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق بضمتين .

(٩٢) قوله (آيات حق) أي من معجزاته ﷺ آيات حق ، أي آيات موصوفة بأنها حق ، هي القرآن . وقوله (من الرحن) أي من عند الرحن لا من عند محمد ، كما زعم كفار قريش . وقوله محدّثة أي أحدثها الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِهِم مِن ذِكْرٍ مِن الرَّمْن مُحدَث إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء :٥] ، وقوله : (قديمة) استُشكل بأنه ينافي قوله محدّثة ، وأجيب بأنها محدثة باعتبار المعاني ، وبهذا كله ظهر قوله (صفة الموصوف بالقدم ، الذي بالقدم) فليس المراد أن الألفاظ التي نقرؤها صفة للموصوف بالقدم ، الذي هو الله تعالى ؛ لأنها حادثة ، بل المراد أن معناها صفة له تعالى .

(٩٣) (لم تقترن بزمان) أي لأنها قديمة من حيث معناها ، والزمان حادث ، وقوله (قتبرنا عن المعاد) أي عن وقوله (تخبرنا عن المعاد) أي عن عَوْد الخلق بعد انعدامهم ، وقوله و (عن عاد) أي وتخبرنا عن قبيلة عاد ، التي بُعث إليها هود عليه الصلاة والسلام ، ويقال لهم أيضًا : إرم ،=

دامَتْ لَـدَيْنا ففاقَتْ كُـلَّ مُعْجِـزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جِاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ (٩٤) مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جِاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ (٩٤) ومُحْكَمَاتٌ فَهَا تُبْقِينَ مِنْ مَنْ شُهِ فِي شِقاقِ وما تَبْغِينَ مِنْ حَكَم (٩٥)

تسميةً باسم جدهم إرم ، وقيل إن إرم اسمُ أرضهم وبلدتهم ، وقيل : إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنةً من فضة وأخرى من ذهب ، في صحن عدن ، وجعل فيها أنهارًا مطردة ، وأصنافًا من الشجر ، وأتم بناءها في ثلثمائة سنة ، وعند كمالها ارتحل إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء ، فأهلكتهم . وقوله « وعن إرم » بكسر الهمزة تسمَّى عادًا الأخرى .

(٩٤) (دامت لدينا » أي الآيات استمرت عندنا ، فتسبب عن ذلك أنها فاقت كلَّ معجزة صادرة من النبيين غير نبينا ﷺ . ﴿ إِذْ جاءت ولم تدم » أي إِذْ جاءت عنهم ولم تستمر ، بل لم تظهر على أيديهم إلا مرة واحدة ، وذلك حين التحدي ، ثم لم تظهر بعد ذلك ، وإليه أشار ﷺ بقوله : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما مِثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا يُتلكى » ، فشريعته باقية إلى يوم الدين ، فناسب أن تكون معجزته كذلك .

(٩٥) « عكمات » أي والآيات المذكورة محكمات ، ومعنى محكمات : متقنات النظم في البلاغة والفصاحة ، أو أن معنى محكمات : ذوات حكمة . وقوله « فما تبقين من شبه لذي شقاق » أي فما تترك تلك الآيات المحكمات شبهًا لصاحب شقاق ، وهو الكافر ؛ لأنه مشاق الدين ، والشبه : جمع شبهة ، وهي ما يُظن دليلاً وليست بدليل . « وما تبغين من حكم » بفتح التاء أي ولا تطلبن حَكمًا ، يعني حاكمًا يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه . و « ما » نافية في الموضعين .

ما حُورِبَتْ قَطُّ إلاّ عادَ مِنْ حَرَبِ

أعْدَى الْأعادِي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ (٩٦)

رَدَّتْ بِلاغَتُهِا دَعْمِوَى مُعارِضِها

رَدَّ الغَيُّورِ يَدَ الجانِي عَنِ الحُرَمِ (١٧)

لها مَعَانٍ كَمَوْج البَحْرِ في مَدَدٍ

وفوْقَ جوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ والقِيمِ (١٩٨)

(٩٦) ما حورب الله إلى الله إلى ما حورب الآتي بها _ وهو النبي اله في الزمن الماضي _ إلا كان النبي اله هو الغالب ، ورجع أشد الأعادي عداوة إليه ملقي السلاح ، وسلم له اله إما بدخوله في الإسلام ، وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها . ويحتميل أن المراد بالمحاربة المعارضة ولا من المجل فيه بمعنى مِن أجل . وحقيقة الحرب بفتحتين : سلب المال ، لكن المراد به هنا الشدة أي شدة بلاغتها . اعدى الأعادي الماحدي الأعادي عداوة ، ومعنى السلم بفتحتين : السلاح .

(٩٧) (ردت بلاغتها) أبطلت بلاغتها دعوى معارضها ، كما وقع لمسيلمة الكذاب ، حيث عارض – لعنه الله – القرآن لما ادّعى النبوة ، وأراد أن يأتي بقرآن يشبه القرآن ، فقال في معارضة سورة النازعات : « والطاحنات طحنًا ، والحاجنات عجنًا ، والخابزات خبزًا » . قوله « رد الغيور) أي ردًا مثل ردّ الشخص الغيور الذي هو شديد الغيرة على النساء ، والحرم بضم الحاء وفتح الراء : جمع حرمة ، كامرأته وأخته وغيرهما . وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله سببه ما اشتمل عليه من البلاغة التي لم يصلوا إليها ، وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم ، وهو قول الجمهور .

(٩٨) لا لها معان إلخ ، أي لتلك الآيات معان كثيرة لا نهاية لها . لا كُمُوج البحر في مدد ، أي مثل موج البحر في كوئه يمدُّ بعضه بعضًا ؛ إذ ما من موجة إلا وبعدها موجة ، وأشار بذلك إلى قول بعضهم : أقلُ ما قيل في=

فلل تُعَلَّدُ ولا تُخْصَى عَجائبُها

ولا تُسامُ على الإكْثارِ بالسَّامُ مِلْ وَلا تُسامُ على الإكْثارِ بالسَّامُ (٩٩) قَدرَّتْ بِها عَدِينُ قارِيها فَقُلْتُ لَـهُ

لَقَدْ ظَفِرتَ بِحَبْلِ اللهِ فاعْتَصِم (١٠٠٠)

العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون الف علم ، وثماغائة علم ، وما حُكي عن بعضهم من أنه قال : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقي من فهمها أكثر . وقوله (وفوق جوهره في الحسن والقيم) أي ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسنها البديع ، وفي قدرها وشرقها ، والقيم : بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة ، والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازًا .

(٩٩) (عجائبها) أي معانيها العجيبة ، جمع عجيبة ، وهي الشيء العديم النظير أو قليله ، وقوله (ولا تسام) أي لا توصف ، وقوله (على الإكثار) أي مع الإكثار منها الذي لا غاية له ، وقوله (بالسام) أي الملل . وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها ، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها للسنها ، فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به مسن الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الإكثار منه بخلاف آيات القرآن .

(۱۰۰) « قرّت بها » أي سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قاريها قارئها لحصول السرور لها ؛ فإن عين الجزين تكون مضطربة ، وعين المسرور تكون ساكنة ، وقيل قرّت من القرّ بضم القاف وهو البرد ، والمعنى : بردت بدمعة الفرح ، ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها . وقوله « لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم » أي والله لقد فزت بما يوصلك إلى الله ، فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله ، أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدّية إلى عقاب الله تعالى .

إِن تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظًى

أَطفأتَ حَرَّ لَظًى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ (١٠١)

كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُ الوجوهُ بِهِ

مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءوهُ كَاخُمَمِ (١٠٢) وكالحُمَمِ (١٠٢) وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعْدِلَةً

فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِها فِي الناسِ لَمْ يَقُمِ (١٠٣)

(۱۰۱) قوله (إن تتلها) إلخ أي إن تقرأها إلخ ، وقوله (خيفةً) أي خوفًا ، وقوله (من حر نار لظى) أي التي هي جهنم ، وقوله (من وردها): الورد بمعنى المورد ، وهو الحل الذي يورد منه الماء ، وقوله (الشبم) بفتح الشين وكسر الموحَّدة : أي البارد ، فالماء يطفئ حرارة العطش ، والأيات تطفئ حرارة نار جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

(۱۰۲) قوله « كأنها الحوض » إلخ أي كان الآيات المذكورة ماء الحوض ، وقوله « الوجوه » أي ذوو الوجوه ، وقوله « به » أي بالحوض ، وقوله « وقد جاءوه العصاة » أي حال كونهم بعض العصاة ، فين للتبغيض . وقوله « وقد جاءوه » والضمير الفاعل راجع للعصاة ، والضمير المفعول راجع للحوض . وقوله « كالحمم » أي حال كونهم كالحمم ، فالحمم جمع حُمة بمعنى فحمة ، ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مسودً الوجه من المعاصي ، فبيض وجهه بشفاعتها ، كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يُصب عليهم منه بعد جيئهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار ، فيعودون بيضًا كالقراطيس ، ثم يدخلون الجنة .

(١٠٣) قول ه (وكالصراط » إلَّخ أي وهذه الآيات كالصراط استقامةً . والمراد بالصراط : اللدين الذي لا اعوجاج فيه ، أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم . وقوله « وكالميزان معدلة » أي وكالميزان من=

لا تعَجَــبَنْ لَحِسُــودٍ رَاحَ يُنْكِرُهـــا

تجاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ (١٠٤)

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَمْسِ مِنْ رَمَدٍ

ويُنْكِرُ الفِّمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ (١٠٥)

يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العافونَ ساحَتَهُ

سَعْياً وفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ (١٠٦)

جهة العدل ، فمعدلة بمعنى عدلاً ، هو الميزان الذي يكون في يوم القيامة .
 وقوله « فالقسط من غيرها في الناس لم يقم » أي فالقسط بكسر القاف ،
 الذي هو العدل المأخوذ من غير هذه الآيات لم يقم في الناس .

(١٠٤) قوله « لا تعجبن » أي لا ينبغي العجب ؛ لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب ، وها هنا قد ظهر السبب وهو الحسد . وقوله « راح ينكرها » أي ذهب ينكر كونها من عند الله ، وقوله « تجاهلاً » أي حال كونه متجاهلاً ، أي مُظهرًا للجهل . وقوله « وهو عين الحاذق الفهم » أي والحال أنه عين الحاذق أي الماهر ، الفهم : بفتح الفاء وكسر الهاء : أي الشديد الفهم ، وحينتذ فإنكارها عناد دعاه إليه الحسد .

(١٠٥) لما ادّعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة ، أثبت ذلك بأمرين محسوسين : الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها ، والثاني إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به ، فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر .

(١٠٦) « يا خير من يمم... » أي يا خير كريم قصد العافون ، وهم الطالبون للمعروف بساحته ، والعافون : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ، والساحة : حسريم المدار الواسع ، وسمعيًا : بمعنسي ساعين .والمسون : جمسع= ومَن هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِر

ومَنْ هُوَ النَّعْمةُ العُظْمَى لَمُعَنَيْمِ (۱۰۷) سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَسِيْلاً إلى حَرَمِ كما سَرَى البَدْرُ في داج مِنَ الظُّلَم (۱۰۸)

متن وهو الظهر ، والأينق: جمع ناقة ، وأصله أنوق قدِّمت الواو على النون فصار أونق ، ثم قلبوها ياءً فصار أينق . والرسم : بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء عليها .

(۱۰۷) قوله (ومن هو) إلخ أي ويا من هو إلخ ، ف (مَن) هنا واقعة عليه عليه وحده . وقوله (الآية الكبرى لمعتبر) أي الآية الكبرى التي هي أكبر الآيات لتأمل ومتفكر ، أي الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق . وقوله (ومن هو) إلخ أي ويا من هو إلخ ، وقوله (النعمة العظمى لمغتنم) أي النعمة العظمى التي هي أعظم النعم لمن يُريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

(١٠٨) قوله (سريت) إلخ كأنه قال : ومن معجزاتك أنك سريت إلخ ، سريت : سرت ليلاً . وقوله (من حرم) أي حرم مكة . وقوله (ليلا) أي في ليل ، وإنما خُص الليل بذلك دون النهار ؛ لأنه وقت تفريغ البال ، وقطعُ العلائق ، وقيل : لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطرُ الليل ، فَجُبرَ بأن أُسْرِيَ فيه بمحمد على . وقوله (إلى حرم) أي حرم بيت المقدس ، وقوله (كما سوى البدر) أي مثل سير البدر الذي هو القمر ليلة كماله ، وهي ليلة أربعة عشر ، والداجي : اسم لليل المظلم ، يقال دجا الليل ، أي أظلم ، فهو داج ، أي مظلم ، فقوله (من الظلم) تكملة أي من ذي الظلم ، جمع ظلمة ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة الإسراء ، وقد=

وَبِتَّ تَرْقَى إلى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلةً

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكُ وَلَمْ تُرَمِ (١٠٠)

وقَدَّمَتْكَ بَحِيكُ الأنبياءِ بِهِا

والرُّسْلِ تَقْدِيمَ نَخْدومٍ عَلَى خَدَمِ (١١٠)

ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿ شُبْحَن ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ عَلَيْلًا مِن ٱلْمَشْجِدِ
 ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَشْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١].

(۱۰۹) أي وبعد وصولك إلى بيت المقدس بت ترقى أي تصعد ؛ فإنه وللهماء كصب له معراج له مرقاة فصعد عليها إلى سماء الدنيا ، فلما جاوز السماء الأولى دُلِّيت المرقاة فصعد عليها إلى السماء الثانية ، وهكذا إلى السماء السابعة ، ثم إلى الكرسي ، ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى مستوى سمِع فيه السابعة ، ثم إلى الكرسي ، ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى مستوى سمِع فيه صريف الأقلام ، ثم دُلِّي له الرفرف ، وهو سحابة خضراء ، فصعد عليها إلى ما شاء الله تعالى . وقوله : إلى أن نلت منزلة " أي إلى أن أعطيت مرتبة في القرب . وقوله (مِن قاب قوسين) ، والأصل من قابي قوس ؛ لأن كل قوس له قابان [القاب : ما بين المقبض وطرف القوس] ، وبينهما شيء قليل جدًا ، فبينهما غاية القرب ، فكذلك بينه وي وبين الله ، فبينهما غاية القرب ، فكذلك بينه الله وبين الله ، فبينهما غاية القرب المعنوي ، وقوله (لم تدركها غيرك ، وقوله (ولم ترم) أي لم يرمها غيرك ولم يطلبها ؛ للعلم بأنها ليست إلا لك ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة المعراج ، وقد ذكرها الله تعالى بقوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ثَنَى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَذَىٰ ﴾ .

(١١٠) قوله (بها) أي بتلك المنزلة ، وقوله و (الرسل) أي وجميع الرسل ، وقوله (تقديم مخدوم على خدم .

وأنت تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ

في مَوْكِبِ كُنْتَ فيهِ صَاحِبَ العَلَمِ حَتَّى إذا لم تَدعْ شَداْواً لِمُسْتَبِقَ مِنَ السُّدُنُوِّ ولا مَرْقَى لِمُسْتَنِمِ (١١٢)

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَام بالإضافَة إذْ

نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُّفْرَدِ العَلَمِ (١١٣)

(١١١) قوله « وأنت تخترق " بمعنى تقطع السموات السِبع الطباق ، أي التي هي طبقة فوق طبقة . وقوله ﴿ بهم ﴾ أي حال كونك مارًا بالأنبياء ، ففي حديث الإسراء في صحيح مسلم « أنه مر في السماء الدنيا بآدم ، وفي الثانية بعيسمي ويحيى ، وفي الثالثة بيوسف ، وفي الرابعة بـإدريس ، وفي الخامســة بهــارون ، وفي السادسة بموسى ، وفي السابعة بـإبراهيم صـلوات الله وسـلامه علـيهم أَجْمَعِينَ . وقوله " في موكب " : الموكب : الجمع العظيم المتلبس بهيئةٍ عظيمة ، وقد كان معه ﷺ جبريل . وجملة ﴿ كُنْتُ فِيهِ صَاحِبِ العَلْمِ ﴾ : أي كنت فيــه المشار إليه ؛ لأن العَلم الرمح في رأسه راية ، ومن شأن صاحبه أنَّ يشار إليه ، وكان جبريل يستفتح في كلُّ سماء فيقال له : ومن معك ؟ فيقول : محمد .

(١١٢) قوله ﴿ لَمْ تَدَعَ شَاوًا لمُسْتَبَقِّ ﴾ أي لم تترك غايةً لطالب سبق ، و ﴿ شَأُوا ﴾ أي غاية ، والمستبق: طالب السبق . " من المدنو " أي من القرب . وقول " ولا مرقى لمستنم " المرقى : محل الرقى ، وهمو الدرجة ، و الستنم: طالب الرفعة وهو الساعي ليرتفع.

(١١٣) قوله : ﴿ خَفَضَتَ كُلُّ مُقَامٍ ﴾ أي خَفَضت كِل رتبة لغيرك ، وقولـه « بالإَضافة » أي بالنسبة إلى مقاملُ لا مطلقًا ، وإلا فالأنبياء كلهم متصفون بالكمال ، لكنه علم أكمل ؛ فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه=

كَــيْهَا تَفُــوزَ بِوَصْــلِ أَيِّ مُسْتَتِــرٍ

عَنِ العُيْدِونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ (١١٤)

فَحُـزْتَ كُـلَّ فَخَـارٍ غَـيْرَ مُشْـتَرَكٍ

وجُـزْتَ كُـلَّ مَقـامٍ غَـيْرَ مُـزْدَحَم (١١٥)

المرتفع عن مقام كل مخلوق ، وإياك أن تعتقد أن غيره و من الأنبياء ليس متصفًا بالكمال ؛ لأن ذلك كفر . وقوله « إذ نوديت بالرفع » أي لأنك نوديت من قِبل الله تعالى نداءً مصحوبًا برفع شأنك إلى ما لم يصله أحد غيرك . قوله : « مثل المفرد العلم » فكما أن المفرد العلم خصصً بكونه نودي نداءً مصحوبًا بالرفع من بين أقسام المنادى ؛ فإن ما عداه منها منصوب ، كذلك و خص بكونه نودي نداءً مصحوبًا بالرفع من بين سائر الأنبياء ، والمراد بالمفرد العلم : المعرفة .

(١١٤) قوله (كيما تفوز) فالمعنى فعلت ذلك لأجل أن تفوز إلخ ، وقوله (أي مستتر عن العيون ، أي وصل كامل في الاستتار عن العيون ، وقوله (وسر أي مكتتم) : أي سر كامل في الاكتتام عن الخلق ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَأُوَحَى إِلَىٰ عَبْدِهِ مَ مَا أُوْحَى ﴾ [النجم: ١٠] ، كما يدل على ذلك حديث عائشة – رضي الله تعالى عنها – حيث قالت : يا رسول الله ما الذي أوحى إليك ربك إذ قال فأوحى إلى عبده ما أوحى ؟ قال : يا عائشة أتريدين أن تعلمي ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرّب ؟! (إلى آخر الحديث) .

(١١٥) قوله « فحزت » الحيازة : الجمع ، فمعنى حزت جمعت ، والفخار : هو ما يُفتخر به من الفضائل ، وقوله « غير مشترك » أي بينك وبين غيرك ، بل هو مختص بك ، وقوله « وجزت » : أي عبرت وتجاوزت ، وقوله « كل مقام » : المقام : الرتبة ، وقوله « غير مزدحم » بفتح الحاء أي غير مزدحم فيه لعدم الواصلين إليه .

وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ وَعَزَّ إِذْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ (١١٦) بُشْرَى لنا مَعْشَرَ الإسْلام إنَّ لنا

مِّنَ العِنايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ (١١٧)

لَـــيّا دَعــا اللهُ داعينـا لِطاعَتِــهِ

بِأَكرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمُسِمِ (١١٨) راعَتْ قُلُوبَ العِدا أنباءُ بَعْثَتِهِ

كنَبُّ وَ أَجْفَلَتْ غُفْ لاَّ مِنَ الغَنَم (١١٩)

(١١٦) قوله ﴿ جَلِّ ﴾ إلخ أي عظم ، وقوله ﴿ مَا وَلَيْتَ ﴾ بالبناء للمفعـول أي ما ولأك الله . والرتب : المناصب الشريفة . وقوله (عز) : أي امتنع ذلك ، فـلا يحصَّل لأحـد غـيرك . وقوَّلـه (مـا أوليت) بالبنـاء للمفعول ، أي ما أولاك مولاك أي أنعم عليك .

(١١٧) قوله (بشرى لنا) إلخ أي هذه المنأقب بشرى لنا إلخ . وقوله (إن لنا من العناية ركنًا غير منهدم ، أي إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا في الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ . أمَّاتنــا الله علــى ســنته ، واتباع ملته بمنّه وفضله ورحمته .

(١١٨) قَوله ﴿ لما دعا الله ﴾ إلخ أى لَمَّا سمَّى الله ، وفي التنزيل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] ، والمعنى عليه : لما دعانا الله وهو داعينا لطاَعته بواسطَة أكرم الرسل ، كنا أكرم الأمم ، والأوّل أقرب كما لا يخفى .

(١١٩) قوله (راعت) إلخ أي أفزعت ، وقلوب : أي أصحاب قلوب ، والعدا : بالكسر والقصر جمع عدو ، والمراد بهم الكفّار ، والمراد بأنباء بعثته :=

ما زالَ يَلقاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ

حَتَّى حَكَوْا بِالقَنا لَـحُمَّا علَى وَضَمِ (١٢٠)

وَدُّوا الفَرارَ فكادُوا يَغبطونَ بعم

أشْلاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبانِ والرَّخَمِ (١٢١)

أخبارها التي صدرت من الكهان والأحبار وغيرهم ، كقولهم : إنه سيظهر دين يغلب كل دين . وقوله : « كنبثة » أي مثل نبئة أي زارة الأسد ، وجملة أجفلت : أي أفزعت صفة لنبئة ، وغفلا : جمع غافل .

(۱۲۰) قوله (ما زال) إلخ أي لم ينفك ﷺ عن كونه يلقاهم بنفسه تارة ، و بخيله ورجله أخرى ، في كل معترك وقع بينه ﷺ وبينهم ، والمعترك بفتح الراء : على الاعتراك ، أي الازدحام للحرب . وقوله (حكوا) شابهوا ، وقوله (بالقنا) أي بطعن القنا ، والقنا : جمع قناة وهي الرمح ، والوضم بالضاد المعجمة : ما يضع القصاب اللحم عليه ، معَدًا لمن يأخذه ، وهو المسمى بالطبلية ، وقيل : إنه الحديد الذي يُغزز فيه اللحم حين يُشوى ليؤكل .

به أشلاء شالت مع العقبان والرخم " أي فلتمنيهم ذلك قربوا من أن يغبطوا به أشلاء شالت مع العقبان والرخم " أي فلتمنيهم ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار ، أشلاء: أي أعضاء شالت: أي ارتفعت حال كونها مع العقبان . العقبان : جمع عقاب (قال في القاموس : والعُقاب – بضم العين – طائر جمعه أعقب وعِقبان – بكسر العين) ، وهو نوع من الطير ، ومع الرخم جمع رخمة ، وهي نوع من الطير أيضاً ، وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما . والغبطة : هي تمني الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره . وأشلاء : جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم .

مَنْضِي الليالي ولا يَدرونَ عِددَّهَا

ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ (١٢٢) كَأْنَمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ

بكُلِّ قَرْمٍ إلى لَحْمِ العِداَ قَرِمِ (١٢٣)

يَجُسرُ بَحْسرَ خَمِيسِ فَوْقَ سابِحَةٍ

يَرْمِي بِمَوْجِ مِنَ الأبطال مُلْتطِمِ (١٧٤)

(١٢٢) قوله « تمضي الليالي » إلخ أي تمر عليهم الليالي بأيامها ، والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع ، وقوله « ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم » أي ما لم تكن تلك الليالي من ليالي الأشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ؛ لإمساك النبي والمؤمنين عن جهادهم في الأشهر الحرم .

(١٢٣) قوله « كَأَمُا الدين » إلخ أي كأَمُا دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار ، وقوله « بكل قرم » بفتح القاف وسكون الراء : أي مع كل شجاع ، وقوله إلى لحم العدا قرم : بفتح القاف وكسر الراء : أي

شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين.

(١٢٤) قوله (يجر) إلخ أي يستبع هذا القرم الذي هو الشجاع ، وقول ه (بحر خيس) أي خميس كالبحر في تموجه وإهلاكه الكفار ، والخميس هو الجيش العظيم ، سمي بذلك لأنه مركب من خمس قوائم : مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وساقة ، وقلب . وقوله (فوق سابحة) أي كائن فوق خيل سابحة : أي مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحر . والأبطال : جمع بطل ، وهو الشجاع ، وقوله (ملتطم) صفة لموج ، أي ملتطم بعضه ببعض .

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبِ للهِ مُحْتَسِبِ

يَسْطُو بِمُسْتأْصِلِ للكُفْرِ مُصْطَلِمِ (١٢٥) حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلامِ وَهْيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها موصولَةَ الرَّحِم (١٢٦)

(١٢٥) قوله (مِن كل منتدب) أي من كل مجيب ، وقوله (محتسب) أي مدخر ثواب عمله عند الله ، وقوله (يسطو) أي يصول ، وقوله (بمستأصل للكفر) أي بآلة مستأصلة لأهل الكفر ، أي مزيل لهم من أصلهم ، وقوله (مصطلم) أي مهلك لهم .

(١٢٦) غذت بمعنى صارت ، وقوله ا وهمي بهم ا أي وهمي مصحوبة بالصحابة ، وقوله « من بعد غربتها » والمراد بغربتها عدم شهرتها وقلة من ينتمي إليها ، وقوله موصولة الرحم : أي كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمى إليها ، وأشار بذلك إلى حديث مسلم " بدأ الإسلام غريبًا » . (روّاه مسلم وابن ماجه عـن أبـي هريـرة ، والترمـذي وابـن ماجه عن عبد الله بن مسعود ، وابن ماجه عن أنس ، والطبراني عن سيدنا سلمان وسهل بن سعد واين عباس). وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شريح بن عبيد مرسَلاً : « إنَّ الإسلام بدأ غريبًا ، وسيعود غريبا ، فطوبي للغرباء ، ألا إنه لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » ورواه ابن جرير ، وابن أبي الدنيا إلا أن روايتهما : « ثـم قـرأ رسـول الله ﷺ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ثم قال : إنهما لا يبكيان على كـافر » وهـو مروي عن أنس وجابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وسهل بـن سـعد ، وسـلمان وابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وعمر ، وعلى ، وعمرو بن عوف ، وواثلة ، وأبي أمامة ، وأبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وأبي موسى وغيرهم ، فهو مشهور أو متواتر ، كذا من « كشفّ الخفاء » للعجلوني .

مَكْفُولَةً أبدًا مِسنهُمْ بِخَدِرِ أب

وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمَ تَسِيم (٧

هُـمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصادِمَهُمْ

ماذا رأى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدَم (١٢٨)

وَسَلْ خُنَيْناً وسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا

فُصُولُ حَتْفِ لَـهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَم (١٢٩)

(١٢٧) قوله (مكفولة) إلخ أي محفوظة ، وقوله (أبدًا) أي إلى الأبد ، وقوله ا منهم ا أي من الكفار ، وقوله (بخير أب وخير بعل) هو النبي ﷺ ، فإنه أشفقُ على أمته من الأب على أولاده ، وأقوم بمصالحهم من البعلَ على زوجاته (ولذلك قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بالمؤمنين في كتاب الله ، فأيكم ما ترك دينًا أو ضيعةً فادعوني فأنا وليُّه ، وأيكم مَا ترك مالاً فليؤثر بماله عصبتَه من كان » رواه مسلم . ويشير ﷺ بقوله ﴿ فِي كتابِ اللهِ » إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٦ : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أُوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفُسِهمْ ﴾ ، وقوله " فلم تيتم " أي من جهة الأب ، وقوله " ولم تئم " أي من جهة البعل ، يقال : يتمَ الولد إذا مات أبوه وهو صغير ، ويقال : آمت المرأة تئيم كباعت تبيع : إذا خلت من زوجها .

(١٢٨) قوله: (هم الجبال) أي هم كالجبال في الشمم والصلابة ، وقوله (ماذا فسل عنهم مصادمهم) أي مَنْ صادمهم من أعدائهم ، وقوله (ماذا رأى منهم " أي من الشُّدة ، وقولُه ﴿ فِي كُلُّ مُصَّطِّدُم ﴾ لِفتح الَّدال ، هي

الأماكن التي التقوا فيها مع أعدائهم . (١٢٩) قوله « وسل حنينًا » إلخ أي وسل زمن غزوة حنين ، وسل زمن غزوة بدر ، وسل زمن غزوة أحد . ومعنى قوله « فصول حتف لهم » أزمنة موت للكفار ، وقوله « أدهى من الوخم » أي أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيها من الوخم الذي هو الوباء . وكانت غزوةً حنين بعد فتح مكَّة سنة ثمان ، وهو=

المُصْدِرِي البيضَ مُمْرًا بَعْدَ ما وَرَدَتْ

مِنَ العِدَاكُلَّ مُسْوَدٌ مِنَ اللَّمَمِ (١٣٠) ومِنَ اللِّمَمِ اللَّمَمِ اللَّمَمِ الْخَطِّ ما تَرَكَتْ والكاتبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ المَّالَ وَالكاتبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ المَّالَ وَالكَاتِينَ بِسُمْ غَيرَ مَنْعَجِمِ (١٣١)

اسمٌ لواد بين مكة والطائف ، وفيه التقى رسول الله به والمسلمون مع المشركين ، فانهزم الكفار ، وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها في يوم الجمعة سنة ثنتين ، وقتل فيها من صناديد قريش سبعون ، وأسر منهم سبعون ، وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث ، وهو اسمٌ لجبل بالمدينة ، واستشهد فيها من المسلمين سبعون ، منهم حمزة ، وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً ، والحرب سجال ، واحدة لنا ، وواحدة علينا .

(١٣٠) قوله « المصدري البيض » ، والمصدرين جمع مصدر بضم الميم ، من أصدر عن الماء: رجع ، والمراد من البيض السيوف المصقولة . وقوله « حرًا » أي من الدماء التي خالطتها ، وقوله « بعد ما وردت » أي بعد

ورودها ، وقوله (من اللّم) أي الشعر المجاور شحمة الأذن ، فاللمم بكسر اللام : جمع لمة ، وهي الشعر المذكور . فحاصل المعنى : أمدح الصحابة الذين أصدروا أي أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللمم ، حال كونه من العدا ، وفي ذلك دليل على شجاعة الصحابة - رضي الله عنهم - حيث لا

يرضون إلا بقتل سود اللمم من العدا ، وهم الشبان في الغالب . (١٣١) المراد بسمر الخط : الرماح الخطية (١) فالسمر جمع أسمر ، وهو السرمح ، والخط شجرة تتخذ منها تلك الرماح ، وقيل : موضع باليمامة تجلب إليه تلك الرماح من الهند . وقوله « ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم »=

 ⁽١) الرماح الخطية : نسبة إلى مرفإ للسفن في البحرين تباع به الرماح ، قـال في القـاموس :
 « ومرفأ السفن بالبحرين ، وإليه نسبت الرماح الأنها تباع به ، لا إنه منبتها » .

شاكِّي السِّلاح لَهُمْ سِيها تُمَيِّزُهُمْ

والوَرْدُ يَمْتازُ بالسِّياعَن السَّلَمِ (١٣٢)

تُهْدِي إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ

فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأكهام كُلَّ كَمِي

كَأُنَّهُمْ فِي ظُهُ وِ الْخَيلِ نَبْتُ رُباً

مِنْ شِدَّةِ الحَرْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُرُمِ

أي لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير مزال عجمته ،
 بل أزالت عجمته ، فالمراد بأقلامهم : أسنة رماحهم .

(١٣٢) قوله « شاكي السلاح » إلخ أي حاديه ، وقوله « لهم سيما تميزهم » أي لهم علامة تميزهم عن غيرهم ، قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثْرِ السَّيمُ اللهُ عَلَى السَّلَم » : شجر من السُّجُودِ » [الفتح: ٢٩] ، وقوله « والورد يمتاز بالسيما عن السلم » : شجر من العضاة ، فالورد والسلم وإن اشتركا في أن كلاً شجرٌ مورق ذو شوك إلا أن بينهما فرقًا ظاهرًا لكل ذي بصر ، وكذلك الصحابة وغيرهم ، فإنهما وإن اشتركا في أن كلاً ذو سلاح ، إلا أن بينهما فرقًا ظاهرًا لكل ذي بصيرة .

(١٣٣) قوله (تهدي إليك) بمعنى ترسل ، والمراد برياح النصر الرياح التي حصل بها النصر ، والمراد بالنشر الخبر السار ، وإن كان في الأصل الرائحة الطيبة ، والزهر: نور الشجر ، والأكمام جمع كم: وهو غلاف

النور ، و الكمي: الشجاع في سلاحه .

(١٣٤) قوله «كأنهم في ظهور الخيل اللخ أي كأن الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل الستقرار والشوت . والرباجمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض ، ونبتها يكون أثبت من غيره لطول عروقه حتى يصل إلى الماء ، ويكون أحسن من غيره ؛ لأنه لا يستقر عليه الماء=

طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بَأْسِهمْ فَرَقًا

في تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهُمِ (١٣٥)

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ الله نُصْرَتُكُ

إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجامِها تَجِمِ (١٣٦)

وَكَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرٌ مُسْتَصِرٍ

بِهِ ولا مِنْ عَدُقٌ غَيْرَ مُنْقَصِم (١٣٧)

= فيأخذ حظه من الشمس والرياح ، وقوله « من شدة الحزم » من قوة جودة رأيهم وتدبيرهم ، وقوله « لا من شدة الحزم » أي لا من ربط الحزم (جمع حزم) التي يربط بها السرج أو غيره على ظهر الدابة .

(١٣٥) قوله (طارت) بمعنى اضطربت ، وقوله (من باسهم) أي من شدتهم وقوّتهم في الحرب ، وقوله (فرقًا) أي فزعًا . وقوله (فما تفرق بين البهم والبّهم » البهم جمع بهمة وهي السخلة ، وهي أولاد الضأن ، والبهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء : الشجعان (في القاموس : البّهمة – بضم الباء الشجاع الذي لا يُهتدى من أين يؤتي) .

(١٣٧) والمراد بالوَّلي من آمن به ﷺ ، والعدُّوُّ ضده . وقوله ﴿ بِهُ ۗ أَي بِرَسُولَ اللهِ ، والمنقصم : القصم بالقاف : القطع مع الإبانة .

أحَـل أُمّتَـه في حِرْزِ مِلّتِهِ

كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأشْبَالِ فِي أَجَمِ (١٣٨)

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِهاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرهانُ مِنْ خَصِمِ (١٣٩)

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعجِزَّةً

في الجاهِليَّةِ والتأديبِ في اليُّتُم (١٤٠)

(١٣٨) قوله **ا أحل أمته »** أي أنزلها ، لأنه أحل أمته إلخ . وقوله **ا في حرز ملته »** : أي في ملته الشبيهة بالحرز ، وإنما كانت ملته ﷺ شبيهة بالحرز ؛ لأنها تحفظ من اتبعها من نار الكفر . وقُوله ﴿ كَاللَّيْثُ حَلَّ مَعَ الْأَسْبَالُ فِي أَجَّم ﴾ أي فالنبي عليه حل مع أمته في ملته كالليث حل مع أشباله في الأجم ، والليث هو الأسد ، والأشبال هي أولاده ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة أي الشجر الملتف .

(١٣٩) كم بمعنى كثيرًا ، وجدُّلت : أي قطعتُ وأزالتُ جدالُه ، وكلمات الله : هٰي القرآن ، والجدل أي قي أمره ﷺ . وقول ه (وكم خصم البرهان من خصم ، أي وكثيرًا ما خصم البرهان ، الذي هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد ، وهو شديد الخصومة . وحاصل معنى البيت : كثيرًا ما أزال القرآن جدال المجادل في أمره ﷺ ، وكثيرًا مــا أزال الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة في أمره ﷺ ، والأول إشــارة إلى ما وقع في القرآن من جواب المعاندين السائلين له ﷺ ، والثـاني إشــارة إلى ما وقع منه ﷺ من الآيات ، حين سألوه آية على رسالته .

(١٤٠) قوله (كفاك بالعلم) أي كفاك العلم ، وقولِه (في الأمي) أي في النبي الأمي ، وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسبةً للأم ، كأنه على الهيئة التي نزل عليها من أمه . وقوله (في الجاهلية » أي الزمن الذي لا علم فيه . وقوله **« والتأديب في اليتم »** أي وكفاك بالتأديب في اليتم مُعجزة ؛=

خَدَمْتُ فِي مِصَدِيحِ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ والخِدَمِ (١٤١) وَنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ والخِدَمِ (١٤١) إِذْ قَلَّدانِي مِسا تُحْشَدى عَواقِبُهُ كَانَنِي بِمِسا هَدْيٌ مِسنَ النَّعَمِ (١٤٢) أَنَنِي بِمِسا هَدْيٌ مِسنَ النَّعَمِ (١٤٢) أَطَعْتُ عَيَّ الصَّبا فِي الحالتيْنِ وَما حَصَلْتُ إلّا على الآثامِ والنَّدَمِ (١٤٢) فيسا حَسارة نَفْسسٍ فِي تجارتها في الحَدين بالدنيا ولم تَسُم (١٤٤) لَمُ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدنيا ولم تَسُم (١٤٤)

(١٤١) أي خدمته ﷺ بما تقدم من المدح ، أطلب من الله أن يقيلني بسبب

هذا المديح ذنوب عمر مضى في الشعر مدحًا لأبناء الدنيا.

(١٤٢) قوله (إذ قلداني) الضمير في قلداني للشعر والخدم . وقوله (ما تخشى عواقبه) أي أثامًا تخشى عواقبها ، والمراد بعواقبها أنبواع العذاب ، وقوله (كانني بهما هدي من النعم) أي كأنني بسبب الشعر والخدم هدي من النعم ، التي هي الإبل والبقر والغنم ، ومن شأن الهدي أن يُقلد بجعل شيء في عنقه ، من نعل ونحوه ؛ ليُعلم أنه هدي .

(١٤٣) الغي : ضّد الهدى ، وأضيف للصبّا لأنّه يلدعى إليّه ؛ فإنـه زمـن الجهل والبطالة ، قوله (**في الحالتين »** أي حالتي الشعر والخدم .

(١٤٤) قُولُه ﴿ لَم تُسم ﴾ بفتح التاء وضم السين المهملة : أي ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا ، وكأن الناظم عنى نفسه فنادى عليها بالخسارة ،=

لأن شأن اليتيم ، وهو الصغير الذي لا أب له أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون فيه إلا أب ما يهتم بتأديب ابنه ، ويسعى في تكميله باكتساب الصفات الحميدة ، بخلاف غير الأب ، وكان مؤدًّبًا بأحسن الأخلاق ، على خلاف العادة في اليتم .

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ

يَبِنْ لَـهُ الغُبِنُ فِي بَيْعٍ وفي سَـلَمِ (١٤٥)

إِنْ آتِ ذَنْبًا فِي عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ

مِنَ النَّبِيِّ ولا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ (١٤٦)

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيتِي

مُحَمَّدًا وَهُو أَوْفَى الْخَلْقِ بِاللَّهُمَمِ (١٤٧)

 حيث اتبعت الشعر والخدم لأبناء الدنيا ، ولو صحبها التوفيق لتركت ذلك ، واشتغلت بالدين .

(١٤٥) المراد بالآجل الشواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية ، وبالعاجل الذي يأخذه من الدنيا الذاهبة الفانية . والظاهر أن الضمير في « منه » راجع للدين في البيت قبله . وقوله « يبن له الغبن » أي يظهر له الخداع ، وقوله « في بيع وفي سلم » ، السلم : السلف ، والمعنى : يظهر له له الغبن في حالة البيع ، وفي السلف أيضًا .

(١٤٦) هذا البيت تأنيس للنفس وترج لها في رحمة الله تعالى . « آت » أصله أأت ، بهمزتين . وقوله « فما عهدي بمنتقض من النبي » أي فما إيماني بمنقطع عن النبي ؛ لأنّ الذنب لا يَنقض الإيمان ، وقوله « ولا حبلي بمنصرم » أي ولا وصلي بمنقطع من النبي ﷺ .

(۱٤۷) قوله « فإن لي ذمة » ألّخ هذا البيت تعليل للبيت قبله . ووجه ذلك أن اختياره التسمية باسمه في دليل على مجبته فيه ؛ فإنه لا يتسمى بالاسم إلا من أحب مسمّاه ، وأما من يكرهه فلا يتسمى به . وقوله « وهو أوفى الحلق بالذمم » أي وهو في أشدهم وفاءً بها ، فيقوم بحقها بأن يشفع لأهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه . وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية باسمه على .

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادي آخِلًا بِيَدي

فَضْلاً ، وإلَّا فقُلْ يا زَلَّةَ القَدَم(١٤٨)

حاشاهُ أن يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكارِمَهُ

أو يُرْجِعَ الجارَ مِنْهُ غيرَ مُحْتَرَم (١٤٩)

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفكارِي مَدائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِخَلاصي خَيْرَ مُلْتَزَم (١٥٠)

(١٤٨) أي إن لم يكن ﷺ في يـوم عَـوْدي إلى الله تعـالي آخـذًا بيـدي ، بـأن يشفع لي ، حال كون ذلك فضلاً منه . لا لسابقة مني تقتضي ذلك ، فقل يا زلة القدم ، وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الشدة .

(١٤٩) حاشا هنا اسمٌ بمعنى المحاشــاة ، وهــي التنزيــه . وقولــه (أن يحــرم الراجــي مكارمه » أي من أن يحرم النبي ﷺ الراجي منه مكارمه ، والمكارم : جمع مكرمةً ، والمراد منها الشفاعة ، وقوله ﴿ أَو يرجع الجار منه غير محترم ﴾ فألمعني : وحاشاه من أن يرجع الجار منه أي المستجير به الداخل في جواره ، حالَ كونه غير محترم ،

بل يرجع محترمًا بشفاعته ﷺ ، جعلنا الله من أهل شفاعته أجمعين .

(١٥٠) الأَفْكَار : جمع فكر ، وهو حركة النفس في المعقولات ، والمدائح : جمع مديح ، وهو الثناء الحسن ، وإنما كان ﷺ خير ملتزم لخلاصه من الشدائد ؟ لأنه وَفَى بخلاصه منها على أحسن الوجوه وأتمها ، وأشار المصنف بـذلك إلى الداء الذي كان أصابه ، وهو داء الفالج (الشلل) والعياذ بالله تعالى منه ، وكان هو السبب في إنشاء هذه القصيدة ، فإنه لما أصيب بـ عملـها فرأى النبي ﷺ في النوم ، ومسح بيده الكريمة عليه فعوفي .

وَكَن يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يدًا تَرِبَتْ

إنَّ الْحَكَا يُنبِتُ الأَرْهَارَ فِي الأُكُمِ (١٥١) وَلَمْ أُرِدْ زَهِرةَ السُّنيا التي اقْتَطَفَتْ

يدا زُهَيْرٍ بها أَثْنَى عَلَى هَرِمِ (١٥٢) يا أَكْرَمَ الرُّسُلِ ما لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ

سِواكَ عند حُلولِ الحادثِ العَمَمِ (١٥٣)

(١٥١) الغنى: اليسار، والضمير في منه عائد على النبي على ، وتربت بكسر الراء: أي التصقت بالتراب، لكونها مفتقرة افتقارًا حسيًّا، بأن ضبعت ما كان فيها من الأموال، أو معنويًا بأن ضبعت ما كان لها من الثواب، لاقترافها المعاصي. الحيا: المطر. ينبت الأزهار: جمع زهر. في الأكم: بضمتين جمع أكمة، والأكمة هي الربوة، أي المحل المرتفع من الأرض، وهو قليل النبات لعدم استقرار الماء عليها لعلوها، كذلك على ينيل الغني من ليس مظنة الغني.

(١٥٢) لما كان قوله « ولن يفوت الغنى ... » إلخ يوهم التعريض بطلب شيء من حطام الدنيا ، دفع هذا التوهم بقوله « ولم أرد زهرة » إلخ أي وإنما أردت الغنى منه في الاخرة بالشفاعة في المذنيين . والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره ، والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن أبي سئلمي ، كان زهير من الشعراء المقدمين على سائر الشعراء في الجاهلية . وقوله « بما أثنى على هرم » أي بالمدح الذي أثنى به زهير على هرم بن سنان ، وكان يصل زهيرا بالصلات الجزيلة الخارجة عن العادة .

(١٥٣) قوله « ما لي من الوذ به سواك » أي ليس لي أحد التجيئ إليه غيرك. وقوله (عند حلول الحادث العمم » أي عند نزول الحادث العام ، أي الشامل لجميع الخلق ، والمراد يـوم القيامـة كلاً من الرسـل يقـول حينئذ : « نفسي نفسي » ، والنبي علي يقول : « أمتي أمتي أمتي » .

ولَـنْ يَضِــيقَ رســولَ اللهِ جاهُــكَ بي

إذا الكريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ (١٥٤) فَا الكريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ (١٥٤) فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ اللَّذُنيا وَضَرَّتَها

ومِنْ عُلومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ (١٥٥)

(١٥٤) الجاه : القدُّر والمنزلة ، وهو مأخوذ من الوجاهة ، وهي رفعة القـدر وسعة المرتبة . وقوله (بي) أي عني . وقوله (إذا الكريم تحلى باسم منتقم » أي وقت كون المولى اتصفّ باسم هو « منتقم » ، واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة ، وذلك الوقت هو يوم القيامة . (١٥٥) هذا البيت تعليل للبيَّت قبله ، فكأنه قال : وإنما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي بل يسعني وغيري من العصاة ؛ لأن من جودك الدنيا إلخ ، أي خيرَي ِ الدُّنيا وَضِرِتُهَا التي هي الآخرة ؛ فمن خير الدُّنيا هدايتهُ ﷺ للناس ، وَمن خير الآخرة شَّفاعته على فيهم . قوله (ومن علومك علم اللوح والقلم » : المراد بعلومه ﷺ المعلوماتُ التي أطلعه الله عليها ، والمراد **بعلم اللوح والقلم** : المعلومات التي كتبها القلمُ في اللوح بأمر الله تعالى فإنه ورد " أولّ ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » ، واستُشْكِلَ جعلُ علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ بأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة في آخر سورة لقمان : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عَلَّمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرَى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضِ تَمُوتُ ﴾ ، وأجِيب بعدم تسليم أن هذه الأِمور الخمسة مما كتب الْقلَم في اللوح وإلا لاطَّلع عليها مَن شانه أن يطَّلع على اللوح كبعض الملائكة المقرِّين ، وعلى تسليم أنها مما كتب القلم في اللوح ، فالمراد أن بعض علومه ﷺ علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق .

يا نَفْسُ لا تَقْنَطي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ

إِنَّ الكَبِائِرَ فِي الغُفْرانِ كَاللَّمَمِ (١٥٦)

لَعَلَّ رَحْمَةً رَبِّ حِينَ يَقْسِمُها

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ فِي القِسَمِ (١٥٧)

يا رَبِّ واجْعَلْ رَجائي غَيْرَ مُنْعَكِسِ

لَدَيْكَ وَأَجْعَلْ حِسابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ (١٥٨)

(١٥٦) أصل قوله « يا نفس : يا نفسي » ، وقوله « لا تقنطي » أي لا تيأسي ، وقوله « من زلة عظمت » أي من أجل زلة كبرت ، والأصل : من غفران زلة عظمت ، والزلة بفتح الزاي وتشديد اللام الذنب . وقوله « إن الكبائر في الغفران كاللمم » أي إن الذنوب العظام التي ارتكبتها أيتها النفس في جانب الغفران ، أي بالنسبة له ، كصغار الذنوب . وفي قول الناظم ، ردّ على من زعم أن الكبائر كالصغائر ، كالمعتزلة ، فإنهم يقولون بأن الكبائر لا تُغفر ، بل مرتكبها يخلد في النار . والحق مذهب أهل السنة أن الكبائر كالصغائر في الغران ، وهو الموافق للقرآن () وللسنة ، وللدليل العقلي .

(١٥٧) أي أرجو أن تكون رحمة ربي تأتي في القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم ؟ فمن حمل من العصيان حملاً صغيرًا كان ما يناله من الرحمة شيئًا صغيرًا .

⁽١) كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُو ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

والطُّفْ بِعَبْدِكَ فِي الدارَيْنِ إِنَّ لَـهُ

صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأهْوالُ يَنْهَ زِم (١٥٩)

وائلذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ منْكَ دائِمَةٍ

عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلِّ وَمُنْسَحِمِ (١٦٠)

ما رَنَّحَتْ عَذَباتِ البانِ ريحُ صَبًا

وأطْرَبَ العِيسَ حادِي العِيسِ بالنَّغَمِ (١٦١)

= ظننته من الجميل فيك ، غير ناقص ، وفي الحديث القدسيّ حكايةً عن الله

تعالى: «أنا عند ظنَ عبدي بي: إنْ خيرًا فخير، وإن شرًا فشر ». (١٥٩) معنى الطف: ارفق، وعنى بالعبد نفسه، واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة والخضوع. وقوله « في الدارين " أي داري الدنيا والآخرة، ثم علل ذلك بقوله « إن له صبرًا » أي إن لعبدك صبرًا لا يثبت، بل متى تدعه الأهوال ينهزم أمامها.

السحب: جمع سحاب الذي هو الغيم، وإضافة سحب للصلاة من إضافة الشبه به للمشبه، أي للصلاة الشبيهة بالسحب، في أن كلاً رحمة، وقوله " على النبي " أي سيدنا محمد على ، وقوله " بمنهل ومنسجم " والتقدير بمطر منهل، ومطر منسجم، والمنهل: المنصب لشدته، والمنسجم: السائل لعدم شدته.

(١٦١) قوله « ما رنحت عذبات البان » إلخ أي مدة ترنيح عذبات البان إلخ ، والترنيح: التمييل ، وعذبات البان: أغصانه ، والبان: شجرٌ معروف طيب الرائحة . وقوله « ربح صبا » الربح الشرقية التي تهب صوب باب الكعية ، وإنما سميت بذلك لأنها تصبو أي تميل إليها ، وأصول الرياح أربعة : الأولى : الصبا ، والثانية : الدّبور ، وهي الربح الغربية ، والثالثة : الشمال ، بفتح الشين ، والرابعة : الجنوب بفتح الجيم ، وهي الربح القبلية ، الشمال ، بفتح الشين ، والرابعة : الجنوب بفتح الجيم ، وهي الربح القبلية ، والشابة ،

قال الشيخ الباجوري - رحمه الله:

ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين ، لكن لا بأس بها ، وهي :

ثُّم الرِّضاعَنْ أبي بكرٍ وعَنْ عُمَرٍ

وعَـنْ عَـليٍّ وعَـنْ عـشمانَ ذي الكَـرَمِ والآلِ والصَّـحْبِ ثُـمَّ التـابعينَ فَهُـمْ

أَهْ لُ التُّقَى والنَّقَ اوالجِلْمِ والكَرَمِ يا رَبِّ بالمُصطفَى بَلِّعْ مَقاصِدَنا

واغْفِرْ لناما مَضَى يا واسِعَ الكَرَمِ

واغْفِرْ إلهِي لِكُلِّ المسلمين ب

يتلُونَ في المسجدِ الأقْصَى وفي الحَرَمِ

وقوله « وأطرب العيس » إلخ أي ومدة إطراب العيس إلخ . و الإطراب إحداث الطرب ، وهو خفة تنشأ عن سرور . و العيس بكسر العين هي الإبل بيض يخالطها شقرة أو حمرة شديدة ، وهي من كرام الإبل ، والمراد بحادي العيس سائقها ، وقوله « بالنغم » بفتح النون : الصوت الحسن .

وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام، وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة ، وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لأنه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حُفظ دون غيره لقرب العهد به.

بجاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طِيبَةٍ حَرَمٌ

واسمه قسم مِن أعظم القسم

والحَمْدُ للهِ في بددْءٍ وفي خَدتَم

أبياتُها قد أنّت سِتينَ مَعْ مِائدةٍ

فَرِّجْ بها كَرْبَسَا يسا واسسعَ الكَسرَمِ



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم
o	بُرْدَة المَديح
ب الصلاة على خير البَرِيَّة ﷺ للإمام	القصيدة المُضَريَّة في
ΥΥ΄	
لإمَام البوصيري٢٣	القصيدة المحمَّدية لـ
rŧ	شرح بُرْدَةُ اللَّديح
٠٢	

